مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٩٣٤٠ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

ارتجاج الهويّيّة واهتزاز الثقة لدى التونسيين في النّصف الثاني من سبعينات القرن الماضي ودور الحركة الفلسفية في رأب الصّدع المجتمعي

تاريخ تقديم البحث:١٩/ ١١/ ٢٠٢٤
تاريخ قبول البحث:٣/ ١٢/ ٢٠٢٤

د. خالد البحري(*)

ملخّص

لئن شهدت تونس في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي أزمات سياسية واجتماعية وتعليمية متعدّدة ومركّبة فقد تمكّن المجتمع التونسي بفضل تماسك نسيجه الاجتماعي وحيويّة حياته الثقافيّة، وصلابة تكوينه المدني وتجذّر حسّه الوطني، ودفاع نخبه عن مقتضيات الحياة المجتمعية المشتركة، وقيم الديمقراطية والمواطنة، فضلا عن القيمة المرموقة التي كان يحظى بها الاتحاد العام التونسي للشغل في وجدان التونسيين، وعراقة التنظّم المدني والجمعياتي، من تجاوز هذه الأزمات التي كانت مهدّدة للسلم الأهلي لأنّها أدت إلى ارتجاج الهوية الوطنية وقلّصت من منسوب الثقة بين التونسيين. وقد اضطلعت المنظمات والجمعيات الّتي شكّلت المجتمع المدني في تونس بدور حاسم في تفادي السقوط في العنف الاجتماعي والفوضى السياسية ومنع زعزعة التماسك الوطني. من هنا تعمل هذه الورقة العلمية على تبيين كيف أنّ الحركة الفلسفية التي نشطت في تونس في تلك الفترة كان لها الأثر الكبير في رأب الصّدع المجتمعي، وتعزيز الثقة المواطنية، وصون اللحمة بين التونسيين، والدّفاع عن فكرة دولة القانون والمؤسسات، وتأكيد حتمية الحوار الاجتماعي لصون المشترك الوطني.

الكلمات المفاتيح: الأزمات، الهوية، السّلم الاجتماعي، التّعريب، الحركة الفلسفية، الحوارات الاجتماعية والمدنية.

المقدمة

شهد المجتمع التونسي في النّصف الثاني من سبعينات القرن الماضي فترة من أحلك الفترات التي مرّ بها منذ الاستقلال إذ حدثت أزمة بالغة الخطورة عُرفت تاريخيا بـ«الخميس الأسود»[1] وتجلّت في الصّدام الدموي بين أجهزة النظام السياسي الأمنية والعسكرية والحزبية وأعرق منظّمة عمّالية أعني الاتّحاد العام التونسي للشغل نتج عنه سقوط

(*) جامعة المنار – تونس
bahrikhaled99@gmail.com

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

أعـداد مـن القتـلى والجرحى في صفـوف المواطنين فضـلا عن الاعتقـالات والمحاكـمات والمواجهات الّتي أفضت إلى تشكّل شعور لدى التونسيين بعدم الثقة في السلطة السياسـية القائمة واهتزاز الصّورة السياسـية والأخلاقية لرأس الدولة لا سيّما بعد أن نصّب الحبيب بورقيبة نفسـه رئيسـا مـدى الحياة[٢]، وهـو ما ولّد حالـة من التصـدّع في الهويّـة الوطنية غذّاه تراكم الانحرافات السياسـية والاضطرابات الاجتماعيـة والإخفاقات الاقتصاديّة والاخلالات التربوية..

وعـلى الرّغـم من حدّة هـذه الأزمـة فقد تمكّن المجتمع التونسي بفضل تماسـك نسيجه الاجتماعي وحيويّـة حياتـه الثقافيّـة، وصلابـة تكوينـه المـدني وتجذّر حسّـه الوطني، ودفاع نخبـه عن مقتضيات الحيـاة المجتمعيـة المشـتركة وقيـم الديمقراطيـة والمواطنـة، فضـلا عـن المنزلـة الاعتباريـة التـي كان يحظـى بهـا الاتحـاد العـام التونسي للشـغل في وجـدان التونسـيين، والتقاليد الرّاسـخة في التنظّم المـدني والجمعياتي، [تمكّـن المجتمـع التونسي] من تجـاوز هـذه المحنـة التـي كادت تعصـف بالسـلم الأهـلي، وكان للحركـة الفلسـفية التـي شـهدتها تونـس في تلك الفترة الأثر الكبـير في رأب الصّدع المجتمعي، وتعزيز الثقـة المواطنية، وصون اللّحمة بـين التونسـيين، والدّفـاع عـن النّظـام الجمهوري ودولـة القانـون والمؤسسـات، وتأكيـد حتمية الحوار الاجتماعـي لتعزيز المشـترك الوطني وحماية كرامـة المواطنين والـذبّ عن حقوقهـم وحرّياتهم وذلك من طريق الاسـتخدام الحر والمستنير للعقل والموازنة بـين التجذّر في الثقافة العربية الإسـلامية والانفتاح على قيم الحداثة.

ا. ارتجاج الهوية واهتزاز الثقة لدى التونسيين في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي: الجذور والانعكاسات

١. الجذور

أ. المرحلة الاستعماريّة

عملـت فرنسـا طوال الحقبـة الاسـتعمارية من عـام ١٨٨١ إلى عام ١٩٥٦ عـلى زرع بذور الفرقة بين التونسـيين في مختلف المستويات وشقّ صفوف وحدتهـم من ذلك، على سـبيل المثـال، أنّها عمّقت الهـوّة في الحقـل التربـوي بـين التّعليـم التقليـدي والمحافظ والتعليم العـصري في المعاهد والمدارس التي كانت خاضعة لرقابة الحكومة الاسـتعمارية في المواد والبرامج والمناهج وإطارات التدريس، الخ. وهكذا تولّدت شـيئا فشـيئا عـلى البنـاء المجتمعي تشـقّقات جـرّاء التفاعـلات الطبقية[٣] بـين التّعليم الدّينـي الأصـلي المتركّز في جامـع الزيتونة وفروعه والمنفتـح على كافة شرائـح المجتمع وجهات البلد، والتّعليـم الصّادقـي الـذي يؤمّـن تكوينـا عصريـا وحداثيّا.

وقـد أفضى هـذا الـشّرخ التعليمي إلى تقسـيم التونسـيين بـين رجعيـين وتقليديـين ومحافظين من جهـة، وحداثيـين وتقدّميـين ومسـتنيرين من جهة

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ٢٠١٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

أخرى. وترسّخت تبعا لذلك تمييزات اجتماعية من قبيل «الأهالي» و«الآفاقيين».. أمّا سكّان الحواضر فوصفوا بالبلْدية والأرستقراطيين المتنفّذين وكانت لديهم حظوة في الحكومات المتعاقبة، وهم الذين تيسّر لهم، في الغالب، إرسال أبنائهم لمواصلة الدراسة في الجامعات الفرنسية فضلا عن تمتّعهم بجملة من الامتيازات الاقتصادية.

وتجلّى هذا الشّرخ أيضا في المستوى السياسي إذ عمل المستعمِر على تقسيم التونسيين سياسيا وتأجيج نيران التطاحن بين أنصار الحزب الحرّ الدستوري القديم بزعامة عبد العزيز الثعالبي والحزب الحرّ الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة[٤].

ولعلّ من الأسباب العميقة الّذي ظلّت تفاعلاتها قائمة إلى اليوم ومسّت في العمق ثقة التونسيين بدولتهم هو اعتماد مشروع الفرنسي دوبييس أساسًا لأوّل إصلاح تربوي شامل للمنظومة التعليمية في تونس المستقلّة.

ب. مشروع دوبييس

مثّلت الوثيقة[٥] التي أعدّها الخبير الفرنسي جان دوبييس (Jean DEBIESSE ١٩٠٧-١٩٧٨) * المتعلّقة بمشروع تحوير التّعليم في تونس[٦]، الّذي امتدّ تطبيقه عشرية كاملة أي من سنة ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٦٨، [مثّلت هذه الوثيقة] أخطر الأسباب الّتي مزّقت أوصال التّعليم في تونس واعتدت في العمق على منزلة اللّغة العربية باعتبارها اللّغة القومية، واندرجت بعد سنتين من الاستقلال في سياق سياسة فرنسا الرّامية إلى مواصلة بسط النفوذ الاستعماري في الشؤون التعليمية والثقافية أساسا بواسطة أدوات محليّة[٧]، والعمل من ثمّ على تمزيق أوصال الوحدة المجتمعية للتونسيين وتأجيج نار الفتنة بينهم.

فماذا يعني قيام دولة حازت على الاستقلال بإصلاح التعليم بالاستناد إلى رؤية استعمارية نفّذها خبير فرنسي وطبّقها النّظام القائم وأشهرَها على أنّها إصلاح وطني قاده محمود المسعدي؟ ألم يكن هذا الإصلاح المشوّه إفسادا استراتيجيا للشّأن التربوي والتعليمي الوطني وتنفيذا لمخطط استعماري محدّد الأهداف رمى من خلاله إلى بسط السيطرة الدائمة على المقدّرات الحيوية للشعب التونسي في مجالات التربية والتعليم والثقافة والإعلام على نحو ما كشفت عنه وثيقة الاستقلال الدّاخلي الّتي تضرب في العمق مبدأ السّيادة الوطنية؟

بيّن أحمد الشّرفي، في هذا السياق، في «رسالة المجلّة» التي افتتح بها العدد ٣٥ من مجلّة العلم والتّعليم[٨] أنّ النظام السياسي آنذاك « زعم أنّ الدّولة قرّرت القيام بمخطّط تونسي للتعريب الشّامل بُعيد الاستقلال يمتدّ على عشرية كاملة، ويعمل أوّلا على تعريب التعليم الابتدائي سنة بعد أخرى مع العلم أنّ السنتين الأولى والثانية كانتا معرّبتين تماما. وثانيا على تعريب التعليم الثانوي حسب خطّة علمية وموضوعية تنطلق من واقع مختلف إلى واقع متّحد، فتقرّر إحداث

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

ثلاث شعب: أوّلا، شعبة (أ) القارة: معرّبة في جميع المواد وخاصة في العلوم. ثانيا، شعبة (ب) انتقالية: مزدوجة أغلب موادّها بالفرنسية، تتحوّل تدريجيا بعد عشر سنوات إلى معرّبة مثل شعبة (أ). وثالثا، شعبة (ج) انتقالية: مُفرنسة تتحوّل تدريجيا إلى (ب) ثمّ إلى (أ). وعلى أساس تعريب الإدارة أرسلت دفعات من الطلبة في بعثات رسمية وغير رسمية إلى الجامعات الشرقية وخاصة إلى سوريا في العلوم والقاهرة وبغداد في الآداب».. لكن ماذا حصل بعد عشر سنوات من تنفيذ المخطط «التونسي» الذي أعدّه المستعمِر؟

أوّلا، ظلّ التّعليم الابتدائي غير معرّب ومجمّد في مكانه. وثانيا، حُذفت شعبة (أ) رغم نجاحها الباهر في تعريب العلوم ورغم كلّ وسائل العرقلة والتفشيل والحرب النفسيّة الّتي شنّت على طلبتها وأساتذتها وظلّت الشعبتان (ب) و (ج) على حالها. وثالثا، غُلق باب البعثات إلى الجامعات الشرقية ووقع إرجاع الطلبة أثناء الدراسة وطلب سحبهم حالا استغلالا لأحداث سياسيّة طارئة. ورابعا، تمّ الإبقاء على الإرساليات العلمية إلى الجامعات الغربية (الفرنسية خصوصا)[٩].

ولا شكّ في أنّ هذه الاخلالات التربويّة قد غذّت التحرّكات الاحتجاجية الطلاّبية الّتي اتّسع مداها بالخصوص في العام ١٩٧٢.

ت. حركة ٥ فيفري ١٩٧٢ الطلاّبية

لقد جرّب المجتمع التونسي وراكَم على امتداد الحقبة الاستعمارية أشكالا نضالية مختلفة كالمسيرات والإضرابات والانتفاضات والثورات[١٠]. وخلقت تحرّكات شريحته الشّبابية، الطلاّبية والتلمذيّة، دفعات تحرّرية تقوّت جذوتها[١١] منذ سبعينات القرن الماضي مع ما سمّي بـ «حركة فيفري المجيدة» الّتي جسّدت منعطفا مهمّا وحاسما في التاريخ الاجتماعي والثقافي، وفي الحركة الفكرية والسياسية في تونس المعاصرة[١٢]، ذلك أنّ هذه الدّفعة الحيويّة الجبّارة والشّجاعة والملهمة الّتي تلقّاها المجتمع التونسي من قواه الطلابيّة الحيّة نجمت عنها انتفاضة شبابية عارمة دامت بضع شهور متتالية أُغلقت فيها الكليات وأوصدت أبواب الجامعات لأوّل مرة، والتفّت فيها الجماهير الشبابيّة حول مطالب حقوقيّة وسياسيّة مشروعة، تجسّدت ميدانيّا في احتجاجات يوم ٥ فيفري ١٩٧٢ الّتي أجبرت قوّات البوليس على اقتحام الحرم الجامعي بينما كان الطلبة يعقدون مؤتمرهم، وقد شكّل ذلك علامة كبرى على تحوّل النظام السياسي القائم آنذاك إلى نظام شمولي[١٣] يحمي المصالح الحيوية للنّظام الامبريالي العالمي.

ويمكن ردّ هذا الحدث الطلاّبي الاستثنائي إلى علّتين أساسيّتين: أوّلا علّة فكريّة-سياسيّة مدارها على محاولة التصدّي لمسعى الرئيس بورقيبة- الذي قرن بقوّة بين الدولة والحزب الاشتراكي الدستوري- إلى بسط السيطرة السياسية الشاملة

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

على مكوّنات المجتمع المدني التونسي المتمرّسة بالتحرّكات الاجتماعية والأنشطة الفكرية، وفي مقدّمتها المنظّمة النقابية الجماهيريّة المتجذّرة في وجدان التونسيين أعني الاتّحاد العام التونسي للشغل[١٤] والمنظّمة الطلاّبية العريقة أعني الاتحاد العام لطلبة تونس[١٥].

وأكّدت الدراسات المتّصلة بتاريخ تونس المعاصر أنّ النّظام القائم سعى من طريق تجنيد ميليشيات الحزب الحاكم المعروفة تاريخيا بـ» ميليشيات محمّد الصيّاح»*، وتعبئة الطلبة الدستوريين لاختراق صفوف الطلبة المناوئين والسّيطرة على المعاقل الجامعية، إلى بسط الهيمنة الدستوريّة على الجماهير الطلاّبية، ووأد نزعة التحرّر الفكرية المتغلغلة في صفوف طلاّب الجامعة التونسية الفتيّة، وتدجين تحرّكاتهم الثورية، وضرب تطلّعاتهم إلى الاستقلال التنظّمي والفكري عن أجهزة السّلطة، ومن ثمّ استباق أيّ شكل من أشكال مواجهة النّظام القائم والتمرّد على خياراته السياسيّة والاقتصاديّة اللاّوطنيّة واللاّشعبيّة.

وقد لجأ النّظام، في سبيل تأمين ذلك، إلى أشكال من القمع كالمضايقات والاعتقالات التعسّفية التي شملت الطلبة والتلامذة والأساتذة، واعتماد سياسة التعذيب الممنهج، والملاحقات والطّرد، والمحاكمات الجائرة، والتجنيد القسري المخالف للقانون..[١٦] وهو ما خلّف شروخا نفسية لدى شرائح مختلفة من التونسيّين.

أمّا العلّة الثانية فهي تأسيسيّة ذلك أنّ تنظيم مؤتمر طلاّبي «خارق للعادة»[١٧] داخل الحرم الجامعي بتونس (كلية الحقوق تحديدا)، من يوم ٢ فيفري إلى يوم ٥ فيفري ١٩٧٢ كشف عن جبهة طلاّبية يساريّة معارضة[١٨] للممارسات الاستبدادية والتوجّهات الليبرالية للسلطة القائمة، وفاتحة لأفق جديد في النّضال التقدّمي والحداثي والعقلاني لُخّص في شعارين اثنين[١٩] هما: « اتحاد عام لطلبة تونس ديمقراطي وجماهيري ومستقل» و» ثقافة وطنيّة وتعليم ديمقراطي وجامعة شعبيّة»، وهما شعاران لا يزالان يرفعان إلى يوم النّاس هذا في التحرّكات النضالية الطلاّبية اليسارية في الجامعة التونسية، لا سيّما بعد فشل[٢٠] تجربة التّعاضد الاشتراكية الّتي قادها طوال فترة الستينات تقريبا الوزير أحمد بن صالح وانتهت بالحكم عليه بالخيانة العظمى وفراره خارج البلاد، وفي سياقات موضوعية متشابكة مغاربيّا[٢١] وإقليميّا[٢٢] ودوليّا[٢٣] شهدت أحداث كبرى مثل الثورة الثقافية بقيادة ماو تسي تونغ في الصّين الشعبية وشعارها» من حقّنا أن نثور»[٢٤]، فضلا عن ثورة ماي ١٩٦٨ الطلاّبية في فرنسا الّتي تأثّر بأفكارها الفلسفية لفيف من رموز الحركة الطلابيّة التونسية[٢٥] الّذين درسوا في جامعات فرنسية وتزامن مع تدريس ميشال فوكو في كلية الآداب في تونس.

ويمكن القول إنّ هذه الحركة الطلاّبية التحرّرية جسّدت إعلانا عن الالتحام التاريخي بين النضالات الشبابيّة، ذات التوجّهات اليساريّة

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

أساسا وفي مقدّمتها حركة « تجمّع الدراسات والعمل الاشتراكي» المعروفة باسم «آفاق» (Perspectives)[٢٦] التي ستعدّ النّسغ الرئيس للتيّارات اليسارية الجديدة في تونس، والحركة الجماهيرية الشّعبية بتضامن مدني غير مسبوق من المركزيّة النقابية تجلّى في المظاهرات والإضرابات الّتي خاضها. وسيظلّ ذلك الالتحام علامة على عداء تواصل بمدّه وجزره بين التنظيمات الطلابية اليسارية والسلطة القائمة طوال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي.

وقد أفضت هذه الحركة الطلاّبية المستقلّة المناهضة لغطرسة النظام الحاكم والفاضحة لاستبداد السلطة القائمة إلى تصدّع صورة الرئيس والزعيم في نظر المجتمع الّتي رُوّج لها حزبيّا باعتباره « المجاهد الأكبر وباني الأمّة ومنقذها «[٢٧]، وقادت إلى تحوّل عميق في الذّهنية الشعبية التونسية (الطلابية والتلمذية، وكذلك المزارعين وصغار التجّار والحرفيين..) نحو مقاومة أشكال الاستبداد والتهميش والإقصاء والتصدّي للاستفحال الاجتماعي للفساد والوصولية والارتزاق، وهو ما ترتّب عليه أوّلا: بروز أشكال من المعارضة السياسية للحزب الحاكم وإيديولوجيته الشموليّة ممثّلة في التيّارات اليسارية[٢٨]، والتيّارات القومية العروبيّة[٢٩]، والتيّار الإسلامي[٣٠]، والمعارضة الفكرية ممثّلة في التنظيمات الجمعياتية في قطاعي المحاماة والتعليم أساسا. وثانيا تنامي وعي مجتمعي جديد يرفض النظر إلى المواطن التونسي على أنّه مجرّد أداة طيّعة في خدمة السّلطة، ويعارض استغلال النّضالات الجماهيرية القاعدية الشّعبية في تنصيب قيادات صورية مستكينة وخانعة أو خائنة للقضايا العادلة الوطنية والقومية والأمميّة، ويرفض الخيارات السياسية والاقتصادية المفقّرة للشّعب والمهينة لكرامته.

وستغذّي هذه التحرّكات الطلاّبية لاحقا احتجاجات لفيف من الأساتذة على إثر اتّخاذ قرار سياسي بتعريب مادّة الفلسفة.

ث. قرار تعريب مادّة الفلسفة

شكّل القرار الفجائي والصّادم الّذي اتّخذه الرئيس بورقيبة في غرّة أوت ١٩٧٥، بعد انعقاد مجلس الوزراء، القاضي بضرورة تعريب مادّة الفلسفة[٣١] على نحو آني ومستعجل «طعنة غادرة» وُجّهت إلى تجربة توطين تدريس الفلسفة في تونس في المرحلة الثانويّة، وشكّل ذلك القرار أخطر «تصدّع» حدث في المنظومة التعليميّة الوطنيّة، وفي النّسيج الثّربوي والسّياسي والمدني للمجتمع التونسي في مرحلة دولة الاستقلال، قرار ما تزال تداعياته السلبية مؤثّرة إلى حدّ اليوم نفسيا واجتماعيا وتعليميا.

وفي ما يتعلّق بالحيثيّات التاريخية لهذا القرار المسقط ذكر لنا الأستاذ مصطفى بن عبد الله* في لقاء جمعني به في تونس العاصمة يوم ٤ مارس ٢٠٢١، أنّه تمّت دعوته باعتباره مرشدا بيداغوجيّا بمعيّة متفقّد مادّة الفلسفة محمّد الكرّاي** في شهر جوان ١٩٧٥ لاجتماع مع إدريس قيقة وزير التربية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

القوميـة آنـذاك، ودعـي أيضا لحضوره الأسـتاذان في قسـم الفلسـفة بالجامعة التونسـية عبد الوهاب بوحديبة وفاطمـة حدّاد الشّـامخ، والتأم الاجتماع بحضـور كاتـب الدّولـة الهـادي خليـل. وتطـرّق الوزيـر بأسـلوب تسـاؤلي إلى الفروق بـين التّفكير الإسـلامي والفلسـفة، وإلى قضيّة تعريب الفلسفة لا سـيّما بعـد الإطّـلاع عـلى تجربـة المغـرب. وذكر ابـن عبد الله أنّه عندمـا أخذ محمّد الكـرّاي الكلمة قـال مـا معناه: إنّنا كنّا نجتمـع كلّ يوم جمعة في مقرّ تفقّديـة التّعليـم الثّانـوي بمعيّـة بعـض الأسـاتذة مـن بينهم محمّـد بن رمضان، واسـتفتينا بالمراسـلة وبصـورة تلقائيـة جميـع أسـاتذة مـادة الفلسـفة في الباكالوريـا بمن فيهم المتعاونون الفرنسـيّون حول مسألة التّعريب، وساند الأكثريّة في أجوبتهم مسألة تعريب مادّة الفلسفة في التعليم الثانوي. وعلى هذا الأساس باشرنا، وفق مقتضيات بيداغوجية بحتة، ترجمة بعض النّصوص الفلسفية[٣٢].

وذكـر ابـن عبـد الله أنّ الوزيـر إدريـس قيقة* عـبّر للأسـاتذة الحاضريـن في خاتمـة الاجتماع عن رأيـه قائلا ما فحواه: لقد عيّنتكـم منذ اليوم ضمن اللّجنة القومية لتعريب مادّة الفلسفة. فتمتّعوا الآن بعطلتكم الصّيفيّة ولا شيء يسـتعجلكم. وباشروا عملكم في مفتتح شهر سبتمبر القادم.

إلاّ أنّه بعد القـرار الرئاسي مباشرة انبعثت على عجل «اللّجنة القوميّة لتعريب الفلسـفة إثر جلسة العمل الّتي عقدها السـيّد إدريس قيقة وزير التربية القوميّـة إذ ذاك، وقد ضمّت بالإضافة إلى إطارات وزارة التّربيـة القوميّـة متفقّدي الفلسـفة والبعض مـن أسـاتذة الفلسـفة بالتعليـم العـالي (بوحديبـة وفاطمة حـدّاد). وقد كان هذا يوم ٤ أوت ١٩٧٥ مع ملاحظة هامّة تتمثّل في عدم دعوة الأستاذ محمّد الكـرّاي الذي كان يبـاشر التفقّد في مادة الفلسـفة العامّـة بمفـرده في حـين أنّـه حضرها الأسـتاذان: محيـي الدين عزّوز وعبد الكريـم المرّاق اللّذان كان عملهما قاصرا على تفقدّ مادّة الفلسـفة الإسـلاميّة. وقد أسـندت رئاسـة هـذه اللجنة إلى الأسـتاذ عبد الوهّـاب بوحديبة كما اختير الأسـتاذ عبـد الكريم المرّاق مقرّرا لها»[٣٣]. ربّ سـؤال محيّر يمكن صوغه هـا هنا على هذا النّحو: أي ظلم في حقّ التونسـيين أفدح من اتّخاذ قرار سياسي متعجّل يهمّ أخطر مجال حيـوي في حياتهم وأن يُـشرع في تنفيذه وتطبيقه في ظرف شهر؟!

٢-الانعكاسات

أ. على مستوى تربوي-تعليمي

روى لي الأسـتاذ مصطفى بـن عبد الله بحسرة وأسـى أنّـه لمّـا أعلَـم المتفقّد محمّـد الكـرّاي بالخبر تشكّك في البداية، إلاّ أنّه شعر فيما بعد، عندما تيقّن من الأمـر، بالصّدمة والكارثة التي حلّت بشـؤون الفلسـفة في البلد، واسـتحالت الرجّة الحاصلة من كونها إداريّة إلى كيانيّة ونفسـيّة بالنسبة إلى الزّميلين والصّديقـين والرّفيقـين اللّذيـن سـهرا عـلى وضع اللّبنـات الأولى لمـشروع تعريب مادة الفلسـفة على أسس منهجية.

وقـدّر ابـن عبـد الله أنّ اجتماعـا للمكتـب

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

السياسي للحزب الاشتراكي الدستوري ضمّ بالأساس محمّد مزالي* ومحمّد الصيّاح قرّر، تحت ذريعة مواجهة تغلغل النزعة اليسراوية (gauchisation) آنئذ في صفوف التّدريسيين وفي الأوساط الطلابيّة على وجه الخصوص، إقنع الرئيس بورقيبة بالخطر المحدق على التونسيين ومن ثمّ حثّه على ضرورة استعجال النظر في إصدار قرار تعريب مادة الفلسفة وذلك لمواجهة هذا المدّ الأيديولوجي الماحق والذي زُيّنت أماراته له بإطلاعه على ما يقرب من ألف ورقة امتحان تضمّنت مقالات لتلامذة البكالوريا كانوا قد اختاروا وقتها موضوعا في مادّة الفلسفة طُرح عليهم في امتحان الباكالوريا دورة جوان ١٩٧٥، ومن البديهي أن يُتناول وفق مقاربة تحليلية ماركسيّة، وفحوى هذا الموضوع هو: «هل العمل مصدر اغتراب أم أداة تحرّر؟[٣٤]

من البيّن حينئذ أنّ المتفقّد محمّد الكرّاي كان على قناعة مبدئية راسخة، بمعيّة قلّة قليلة من الأساتذة، بأنّ تعريب مادة الفلسفة لا يمكن أن يحقّق أهدافه البيداغوجيّة والتعليميّة والتربويّة إلاّ إذا استند إلى رؤية منهجيّة وعقلانية منزّهة عن أي اعتبارات غير علميّة، سياسية كانت أو أيديولوجية. من أجل ذلك كان نقد الكرّاي وابن عبد الله وابن رجب لاذعا لمن هاجمهم على غير وجه حقّ ومنهم أستاذ الفلسفة راشد الخريجي (الغنّوشي) الّذي تمّ الردّ على تهجّمه في مقال موقّع باسم محمّد الكرّاي جاء في مستهلّه:» لو لم يقصدني السيّد الخريجي في مقاله الّذي نشره بجريدة الصّباح عدد يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٥ لما كلّفت نفسي عناء الردّ على الخواطر الّتي جالت في ذهنه حول التّحويرات الأخيرة الّتي أدخلت على مادّة الفلسفة وسأقتصر على ما قصدني به: لقد توعّد صاحب المقال من سمّاهم « بالطائفة الغير القليلة من أساتذة الفلسفة» الذين كانوا – حسب زعمه- يستعملون هذه المادّة الخطيرة للخداع والتمويه ونشر الماديّة في أنحاء البلاد واعتزم أن « يزيح السّتار عن الطّلسم الّذي تبثّ حوله هذه الطّائفة من النّاس كثيرا من الضّباب حتّى تستعمل غموضه» ويعني بالطّلسم، « مفهوم كلمة فلسفة عامّة»، وبدون جهد- كما قال- وجد فحوى هذه المادّة في « الكتاب المعتمد لتدريسها» بعنوان» منتخبات النصوص الفلسفيّة»[٣٥]». وعمل الكرّاي في مقاله على تتبّع سقطات الخريجي متسائلا بتهكّم:» (...) كيف يسمح السيّد الخريجي لنفسه بالقول إنّ الكتاب المذكور[كتاب «منتخبات النّصوص الفلسفيّة»] ينطق في عمومه وفي خطّه العريض باسم الفلسفة الماديّة وبالاتجاه الماركسي منها على الخصوص، ولا غرابة أيّها القارئ الكريم أن نجد في المقال هذا التأكيد المجاني إذ من الواضح أنّ صاحب المقال هو كما قال الشاعر: قل لمن يدّعي في العلم فلسفة... حفظت شيئا وغابت عنك أشياء»[٣٦].

ب. على مستوى المسار المهني

أدّى القرار المفاجئ بتعريب مادّة الفلسفة إلى إرباك تلاحم الجسم التّدريسي بالتعليم الثانوي

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

فأكره بعض الأساتذة على الهجرة إلى فرنسا لمواصلة الدراسة الجامعية بينما قبل بعضهم، على مضض، تدريس مادة الفرنسية أو العمل الإداري، الخ، وهو ما ولّد ظروفا عائلية واجتماعية صعبة. وهكذا تزعزعت الثقة بين الأساتذة وبين لفيف منهم والإدارة، وانصرف بعضهم إلى كيل التّهم لزملائهم، فزرعت بذلك بذور التفرقة المهنية والمجتمعيّة على أساس أيديولوجي بين المتمشرقين والمتمغربين، وبين دعاة التعريب ومناهضيه، وبين اليساريين والإسلاميين، بذور ظلّت حيّة إلى اليوم. وترتّبت على ذلك جملة من النتائج السّلبية نذكر منها:

أوّلا: تحطيم المسار المهني لبعض الأساتذة وتحوّلهم إلى مهن أخرى من ذلك، على سبيل الذكر لا الحصر، أنّ المتفقّد محمّد الكراي تلقّى، في شهر أوت، برقية تحمل توقيع الهادي خليل وتنصّ على إحالته على التقاعد الوجوبي بالنّظر إلى إلغاء خطّة متفقّد مادة الفلسفة بالفرنسيّة. ولم يجد الكرّاي من حلّ، لتأمين معاشه، سوى الانضمام إلى مكتب شقيقه الأكبر محمود ليعمل معه في المحاسبة وهو الذي حاز، من حسن حظّه، دبلومها سنة ١٩٧٢ بنُصح وتوجيه سديدين من شقيقه، ثمّ تيسّر له فتح مكتبه الخاص وعمل خبيرا محاسبا إلى آخر أيّام حياته[٣٧]. أمّا صديقه مصطفى بن عبد الله فقد ألحق بجمعية الصمّ والبكم! لكنّه رفض ذلك وخيّر متابعة دراسته الجامعية في فرنسا وتحويل وجهته من الفلسفة إلى الاقتصاد والتصرّف وأنهى حياته المهنية أستاذا جامعيا في هذه المادّة. ومن جهتها ألحقت الأستاذة آمنة بالحاج يحيى بالعمل الإداري بمكتبة وهي الآن روائية تكتب باللغة الفرنسية، الخ.

ثانيا: فصل بعض الأساتذة من التدريس وسجنهم مثل ما حصل مع زينب بن سعيد الشارني وعمر الشارني. فقد تحدّثت زينب الشارني عن معاناتها جرّاء القرار المفاجئ بتعريب الفلسفة قائلة: « في عام ١٩٨٠، بعد فصلي من الوظيفة العمومية لمدة ستّ سنوات من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٠، بسبب انتمائي إلى حركة آفاق المعارضة، رفضت الوزارة إعادتي إلى مهنتي في تدريس الفلسفة وفعلت الأمر نفسه مع زوجي، الذي تمّ فصله هو أيضًا. كنّا نشكّل في نظر الإدارة خطرا على التلامذة وكان علينا التحوّل إلى التدريس في خطّة أستاذ تعليم ثانوي في مادة الفرنسية»[٣٨].

ثالثا: التّنكيل ببعض الأساتذة ومنهم فتحي التركي الّذي أشار إلى انعكاس قرار تعريب مادة الفلسفة على مسيرته التدريسية إذ عوقب بتسميته في معهد على الحدود الجزائرية بعد أن كان يدرّس في مدينة المنستير الساحلية، وذكر أنّه التجأ إلى أستاذه بوحديبة الذي» استقبلني بحفاوة [... و] عبّرت له عن رفضي لهذه العمليّة المتسرّعة الناتجة عن قرار سياسي وتوجّه أيديولوجي ارتكاسي وأعلمته بأنّي سأواصل تدريسي الفلسفة باللغة الفرنسية. وكانت هذه الإمكانية واردة حسب تعليمات الوزارة بالنسبة إلى تلك السنة الدراسية

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn 2224-0934
Info@baytalhikma.iq

[١٩٧٥]. استمع بكلّ جديّة إلى موقفي وإلى تعليلي ثمّ أسهب في توضيح موقفه وكاد يقنعني لولا تحجّر بعض مواقفي اليساريّة. عندما عرضت عليه معاناتي مع الوزارة ولم أحجب عنه شيئا أخذ قلمه وكتب رسالة إلى مدير التعليم الثانوي مدافعا عنّي. وهي الرسالة التي أعادتني إلى التدريس غير بعيد عن تونس العاصمة ورفعت عنّي مظالم الوزارة. وفي السّنة الموالية ورغم موقفي من سياسة التعريب، عندما عُرض على أعضاء قسم الفلسفة ملفّ انتدابي كان المدافع الأوّل عنه لأجد نفسي مساعدا بالكليّة التي درست فيها وناضلت بدون هوادة حسب قناعاتي الفكرية والأيديولوجية»[٣٩].

ثالثا: اعترت بعض الأساتذة حالة من القلق والتوتّر والشعور بالغبن والظلم وانتهى الأمر بالأستاذ محمّد بن رمضان، مدير مدرسة ترشيح المعلّمين بمنزل بورقيبة، إلى الموت في حادث مرور أليم.

وهكذا تراجع منسوب الثقة بين التونسيين بصفة عامّة لا سيّما أنّ التّعليم كان ينظر إليه، وبالأخص في مرحلة الباكالوريا، على أنّه مصعد اجتماعي، وكانت الأسر تسهر على بذل الغالي والنفيس من أجل ترقية أبنائها في مدارج العلم. وتكشف الدراسات والوثائق والشهادات أنّ النّخب الفلسفية آنذاك لم يصبها الإحباط بل عملت على الخروج من المآزق بأخفّ الأضرار الممكنة ولاحت بوادر الانفراجة بعد مرحلة عصيبة كادت تعصف بمكتسبات اللّحمة المجتمعية في تونس عندما تشكّلت اللّجنة القومية لتعريب مادّة الفلسفة.

II. دور الحركة الفلسفية في رأب الصّدع المجتمعي

ليس ثمة أخطر من التصدّع المجتمعي الناجم عن زعزعة الثقة في المنظومة التعليمية والتربوية الوطنية لارتباطها المتين بسائر الشؤون الحياتية. فأيّ دور اضطلعت به الحركة الفلسفية في تونس في فترة قاتمة من تاريخها المعاصر؟

١. دور لجنة تعريب مادّة الفلسفة

أُحدثت اللّجنة الوطنية لتعريب مادّة الفلسفة بقرار سياسي وترأسها عبد الوهّاب بوحديبة، وتوّلت عقد أوّل مؤتمر دولي للتعريب انتظم في تونس وأشرف على تنظيمه مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية الذي كان يديره وقتها بوحديبة* أيضا، بالتعاون مع جامعة دمشق[٤٠]. وجاء في بعض الشهادات أنّ بوحديبة باشر عملية التعريب «بقناعة وإتقان»[٤١]، لإيمانه بأنّنا نعيش اليوم « أزمتين، سواء على مستوى مجتمعاتنا المقيمة في مكانها أو على مستوى مجموعاتنا التي رضيت بالاغتراب، لسبب أو لآخر، وهما أزمة الزمن وأزمة الجسد. إنّنا مطالبون بتحقيق تكيّفنا مع منطق زمني جديد بأسرع ما يمكن وبأقلّ التكاليف. كما أنّنا مطالبون بالاضطلاع بمنطق جسدي جديد. أمّا المنطق الزمني العالمي المرتبط اليوم بالنّشاط الاقتصادي، فقد أخذ

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

يتغلّب على جميع نشاطاتنا الثقافيّة. وحتّى نشاطات الترفيه أصبحت منظّمة وأصبح الناس يتحدّثون عن ((صناعات ثقافية)) بل عن ((صناعات دينيّة)). إنّنا اليوم نعيش، في الشمال كما في الجنوب، عولمة حقيقيّة للزمن»[٤٢]. في هذا السياق قال عبد العزيز قاسم، وقد كان عضوا بديوان وزير التربية لمّا تقرّر تعريب مادّة الفلسفة، إنّه كان « الصوت النّشاز في جوقة التّأييد. وبقيتْ الشوكة في حلقي إلى أن طرحت السؤال على صاحبنا. قلت له: سي عبد الوهّاب، أنت أيّدت تعريب الفلسفة وأشرفت على المناهج الجديدة ومثلك لا يجامل في القضايا الفكرية المصيريّة، فكيف قبلت ذلك؟ قال لي:» اللغة العربية، لغتنا الرسمية وهي، من حيث المبدأ، قادرة على الاضطلاع بتدريس هذه المادة وقد أثبت ذلك الكثير من أساتذة الفلسفة عندنا». قلت: أما كان لنا أن نتريّث؟ قال:» فات الأوان. كلّ المتفقّدين الوافدين من فرنسا بالخصوص أجمعوا على أنّ تلاميذنا في الأقسام النهائية أصبحوا قاصرين عن فهم الدّروس بلغة موليير. وهذه معضلة تتفاقم سنة بعد أخرى. فمن هنا نبدأ إذا أردنا إصلاح المنظومة التربوية». وأضاف أنّ الفيلسوف هنري كوربان، (مكره أخاك لا بطل)، نصح، بعد زيارته للعديد من معاهدنا، بتعريب الفلسفة. وتطرّقنا إلى أنّ حوار الحضارات لا يمكن أن ننخرط فيه بما يكفي من النجاعة والتكافؤ إذا كنّا لا نحسن اللغات»[٤٣].

من البيّن أنّ منزلة بوحديبة الأكاديمية والاعتبارية، ونشاطه السابق صلب لجنة الدراسات الاشتراكية[٤٤] التابعة للحزب الاشتراكي الدستوري، وشخصيته الفكرية المتأصّلة في الثقافة العربية والإسلامية، والمطوّعة لأدوات التحليل الاجتماعي والنفسي والثقافي للمجتمعات، والمتمكّنة، تأويلا وقراءة، من المفاهيم والمشكلات الفلسفية هي التي سمحت له، حسب بعضهم، بحسن إدارة صراع فكري وأيديولوجي في فترة حساسة من تاريخ تونس المعاصر[٤٥].

وفي حديث أجرته معه رشيدة التريكي بادرته بالقول:» لقد اضطلعتَ بدور كبير في تدعيم مادة الفلسفة في تونس، وأنت تعَدّ مهندس تعريبها. لكن إذا كان بعضهم قد رأى أنّ التّعريب شكّل دفعة لتنشيط الحركة الفلسفية في تونس، فإنّ طائفة أخرى ذهبت إلى القول إنّ التّعريب مشروع رجعي. وسيكون حينئذ من المثير للاهتمام الحديث عن شروط التعريب والتغيّرات الّتي أحدثها في تدريس مادة الفلسفة وفي البحث». وفي تفاعله أكّد بوحديبة أنّ « تعريب الفلسفة كان ضرورة بالنسبة إلينا. لقد نُظر إليه من هذه الزاوية لأنّ الفلسفة تكشف عن عمق ثقافي تُبنى فيه الهويّات. لقد كان التّعريب في المقام الأوّل وسيلة للتغلّب على الانفصال بين الهويّة والتراث. وقبل اتّخاذ قرار بشأن التعريب وتطبيقه، شجّعنا فلاسفة فرنسيون مثل موريس دو غنديلاك (Maurice de Gandillac) وهنري كوربان (Henri Corbin) على القيام بذلك في العام ١٩٧١،

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn 2224-0934
Info@baytalhikma.iq

وأصرّوا على حقيقة أنّ الفلسفة هي التي تحتاج- أكثر من العلوم أو التقنية- إلى أن تدرس في لغة الثقافة الأم مهما كانت القيمة الكونية للمفاهيم الفلسفية اليونانية أو الألمانية أو الفرنسية. ومردّ أهمية الفلسفة إلى المواجهة بل أكثر من ذلك إلى اللّقاء مع اللغة-الأم. لقد بدا لنا التّعريب منذ فترة طويلة أمرا لا غنى عنه. ولم تتح فرصة اتّخاذ الإجراءات اللاّزمة إلاّ في وقت لاحق، عندما أصبح الفاعلون السياسيون مدركين، في العام ١٩٧٤، الحاجة إلى اتّخاذ القرارات الملائمة. والسّبب الآخر المقنع هو أنّ الفلسفة تضرّرت من انفصالها عن تدريس الفكر الإسلامي، وكان لا بدّ من توحيد المادّتين»[٤٦].

هكذا يتبيّن لنا كيف أنّ مسألة التعريب لم تكن مسألة تقنيّة خالصة بل كانت قضية ثقافية وحضارية[٤٧] بامتياز لأنّ الانفصال بين الفلسفة العامة والفلسفة الإسلامية طرح مشكلات تتّصل بالعلاقة بين الهوية والتراث، وبعلاقة الفكر بالواقع التونسي. ويمكن تعيين دور لجنة تعريب مادّة الفلسفة في رأب الصّدع المجتمعي في المستويات التالية:

أ. مستوى بيداغوجي يتعلّق بصون قيم التنوّع والاختلاف والتّعاون صلب المدرسة التونسية:

تؤكّد المراجع والوثائق والشهادات أنّ عمل لجنة تعريب مادّة الفلسفة قام على تشريك طائفة من أساتذة الفلسفة من مشارب فكرية وأيديولوجية مفترقة لإيمان بوحدية بأنّ التونسيين يمتلكون « تراثا حواريّا زاخرا انبنى عبر الأجيال، فهو كنز بل كنوز تراكمت فيها المؤثرات الفينيقية والرومانية والمسيحية والإسلامية فالغربية»[٤٨]، وكذلك من الجماعة الفلسفية التونسية التي تكوّنت من أساتذة الجامعة ومن أساتذة التعليم الثانوي[٤٩] ومن المتفقّدين على حدّ سواء، وذلك بهدف تعريب نصوص فلسفية غربية وتأليف كتاب مادّة الفلسفة لتلامذة الباكالوريا[٥٠] في طبعته التجريبية الأولى (١٩٧٦) دون إقصاء أو تهميش للمشاركين في التأليف ممّن درس في المشرق أو في فرنسا بالأساس، أو كذلك في تنويع النّصوص[٥١] من الفلسفة العربية الإسلامية ومن الفلسفة الغربية[٥٢] حيث شارك في إعداد تأليفيات كتاب الفلسفة ونصوصه في جزئه الأوّل الدكتور محمّد قشيش أستاذ فلسفة بالجامعة التونسية وخرّيج الجامعة الفرنسية*، ومحيي الدّين عزوز متفقّد أول للتعليم الثانوي وأوّل تونسي حاصل على الإجازة في الفلسفة من جامعة القاهرة. والدكتور عبد الستار جعبر أستاذ فلسفة بكلية الشريعة وأصول الدين. وأساتذة فلسفة بالمعاهد الثانوية وهم خليفة الغنودي ومحمّد حرز الله والمولدي يونس. أمّا المشاركون في اللّجنة القومية للفلسفة التي قامت بالمراجعة والتعديل والتأليف فهم: الدكتور عبد الوهاب بوحديبة، رئيس قسم الفلسفة بالجامعة التونسية، وعبد الكريم المراق ومحيي الدين عزوز متفقّدان أوّلان للتعليم الثانوي، والدكتور علي الشنوفي أستاذ

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ٢٠١٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

فلسفة بالمعاهد الثانوية والرئيس الحالي للجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، ومحمد الصادق يحيى أستاذ فلسفة بالمعاهد الثانوية. أمّا الجزء الثاني فشارك في إعداد تأليفيّاته ونصوصه الدكتور الحبيب الفقيه، أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة التونسية وخرّيج الجامعة الفرنسية**، وأساتذة الفلسفة بالمعاهد الثانوية: علي الصّحبي ومحمّد الصادق يحيى وتوفيق الشريف ورضا بالرجب ومحمود بن جماعة ومحمّد بن المكي شطورو والهادي شقرون والهادي عوينة ومحمّد الجوّة. بينما ظلّت اللّجنة التي قامت بالمراجعة والتعديل والتأليف هي نفسها.

ب. مستوى فكري يتمثّل في حفظ الرّوح الوطنية المشتركة الجامعة بين التونسيين على اختلافهم ولا سيّما في أبعادها الاجتماعية والثقافية:

لا شكّ في أنّ التمزّق كان يهدّد النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع التونسي في النّصف الثاني من سبعينات القرن الماضي وأفضى إلى طرح مشكلات حارقة تتّصل بسبل تحقيق الموازنة بين التراث والحداثة وبشروط صون الديناميقا الاجتماعية والثقافية للمجتمع الذي يتحرّك أفراده ضمن سياق من الانتماءات والصّراعات الفكرية والقيمية المستمرّة. من هنا أثيرت مشكلة الشّخصية التونسية[٥٣]، وطرحت فكرة التونسة (tunisiĕcation) [وبالأساس تونسة الإطار التربوي]، وانبثقت فكرة التونسيانية (tunisianité) الدّالة على عدم التعارض بين خصوصيّة التونسيين وواقعة التعدّد أي فكرة أنّ الوطن يتّسع للجميع أيّا كانت الفروق الأيديولوجية والسياسية بين مواطنيه، وأنّ بنيانه الاجتماعي والثقافي والمدني إنّما يشيّد تعاونيا دون إقصاء أيديولوجي أو ميز عنصري أو تفضيل جنسي أو تهميش جهوي لأنّ الفكر التونسي كان على امتداد حقب تاريخية مختلفة من سيرورته متأصّلا في جذوره العميقة لكنّه ظلّ تعدّدي الاتجاهات ومنفتحا على العالم في آن. ولذلك فإنّ قابلية التّخاصب الحضاري تعدّ من سمات روح التونسيانيّة أي في نهاية المطاف روح الشعب التونسي المنسجم والملتحم في تنوّعه[٥٤]، وقد ساعدت تضاريس البلد الجغرافية على عدم اعتبار اللجوء إلى السلاح خيارا لحلّ الخلافات.

من هنا لم تكن قضية تعريب مادّتي الفلسفة وعلم الاجتماع في التعليم الثانوي والتعليم العالي على حدّ سواء منفصلة- في نظر النّخب التونسية آنذاك[٥٥]- عن الواقع الاجتماعي للتونسيّين أي أنّها لم تكن قضية نظرية تهمّ المتخصّصين في حقول معرفية بعينها، وتعبّر عن ترف فكري همّه التداول في مسائل بعيدة عن هموم النّاس بل كانت متّصلة في العمق بالمكوّنات البنيوية للشّخصية التونسية في مستوى انتمائها الثقافي والحضاري، وكذلك التاريخي والجغرافي حيث أكّد رائد الفكر الفلسفي في تونس محجوب بن ميلاد* أنّ ما يتّصف به التونسي هو صفة «الشّعور بالشمول» الّتي تيسّر

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

له عمليـة التلقيح بين الحضارتـين العربية والغربية لا سيّما أنّ وضعيـة تونـس الجغرافيـة المتوسّـطية ساعدتها على ذلك[٥٦].

وفي هـذا الصّدد أكّد وزيـر التربية إدريس قيقة في افتتـاح ملتقى تعريب الفلسـفة وعلـم الاجتماع أنّ قرار تعريب مادّة الفلسـفة المتّخذ في أوائل شهر أوت ١٩٧٥ «لا تراجـع عنـه» لأنّـه كان نابعـا من ضرورة القطع مع ما يسبّب الشّرخ المجتمعي ومن ثمّ المحافظة على تلاقح الأفكار واغتنائها. فبعد أن أقيمـت تجارب تمهيدية شـملت عـدّة معاهد، تمّت « تونسـة الإطـار التربـوي في مجملـه وأغلبهـم من الشـباب القادر عـلى التجديد والابتـكار، وأصبح إطار تعليم الفلسفة في أغلبيته تونسيا، وصار قادرا على القيام بدوره في تعريب الفلسفة. ويمكن تجاوز الصّعوبـات الفنية التي تعترض هـذا التعريب لأنّ اللغة العربية قادرة على توفير كل المصطلحات وأنّ قضية المراجـع يمكن حلّها بمسـاهمة رجال الفكر في تونس، وبتعزيـز التبادل بين البلدان العربية. أمّا في خصـوص إقحام الفلسـفة الإسـلامية في برامج الفلسفة العامة فقد ذكر الوزير بأنّ الوزارة لا تنوي بذلك أن تطغى الفلسـفة الإسلامية على غيرها، أو أن تجعـل مـن تعليم الفلسـفة منبرا لتيّـارات معيّنة دون أخـرى بـل هدفهـا تمكـين التلميذ مـن تفكير سـليم وإطلاعه على التيـارات الفكريـة للمجتمع البشري بصفة عامة»[٥٧].

ت. مسـتوى حضاري يتجـلّى في الدّفاع عن الانتماء العربي والإسلامي للمجتمع التونسي:

عندمـا دخـل التّعريـب حيّـز التطبيـق ظهرت مشاكل تتّصل بأدوات التدريس والكتب المدرسية وإعـادة تكوين الأسـاتذة في توحيـد المصطلحات قـدر المسـتطاع، وكان لا بـدّ مـن الاسـتئناس بالتجـارب العربيـة السـبّاقة المصريـة والسّـورية والعراقيـة والمغربيـة[٥٨]. في هـذه السـياق انفتحـت تجربة تعريب مادة الفلسـفة في تونس على التجارب العربيـة ولا سـيّما في ضبط المصطلحات الفلسـفية باللغـة العربيـة[٥٩] والتعاون المشـترك في هذا المجال إذ جـاء في مقدّمـة كتـاب المُعـين في مصطلحـات الفلسـفة والعلوم الإنسـانية أنّ « الجـزء الأوّل من السلسـلة أنجـزه محمّد عزيـز الحبابي. أمّـا الأجزاء التالية فيقوم بها حاليا، أساتذة جامعيّون. فالمشروع جماعي وجامعي على مسـتوى المغرب الكبير. ذلك أنّنا وعينا صعوبة العمل الفردي، واقتنعنا بضرورة تكاثـف الجهود للإسراع والاسـتمرار في الانجاز، فإذا بإخوان يتطوّعون للمشاركة بروح من التعاون نحمـده ونقدّره. وهكذا توزّعت الأعمال المعجمية بـين باحثين، ومراجعين، ومصحّحين، ومنسّـقين. فانتظـم العمـل في جمعيـة أُسّسـت بالمغرب باسـم «ندوة الموسـوعة» تقوم بتنسـيق العمـل، بالتعاون مـع مركـز الدراسـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة بتونس، وغيره من الكليات والمعاهد العليا بالشمال الأفريقي»[٦٠].

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ٢٠١٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

والمستخلص من هذا هو أنّ الانغلاق الفكري أو السّياسي إنّما يشكّل اعتداء على مصادر حيويّة تغتني منها الشّعوب.

٢. حركة فلسفيّة نشيطة

ساهمت الحركة الفلسفية الثريّة التي نشطت في النّصف الثاني من سبعينات القرن الماضي وبالأخص في السنوات الثّلاث الأخيرة في التخفيف من حدّة الانقسامات الاجتماعية والصراعات السياسية، والعمل على تقريب وجهات النظر بين التيّارات الفكرية في مسعى لتجاوز الشّرخ النفسي والعداء الأيديولوجي لا سيّما بين الإسلاميين واليساريين الّذين نتجا عن القرار المتعجّل بتعريب مادّة الفلسفة. وقد تجلّى هذا الإسهام الفعّال في مسارين اثنين على الأقل:

أ. مسار بيداغوجي

شكّلت الأنشطة البيداغوجية حقلا تربويا خصبا جرّب فيه الأساتذة التونسيون فنون الإنصات للآخر المختلف، والنقاش الهادئ والرصين، والنقد البنّاء والثري. فقد تنوّعت الأيّام الدّراسية والنشريات البيداغوجية التي كانت تصدرها المراكز الجهوية للتوثيق التربوي بالمندوبيّات التعليمية فساعد ذلك على تجويد تدريس الفلسفة بالعربية، والتخفيف من حدّة المعاناة بالنسبة إلى التدريسيين والمتمدرسين من ذلك على سبيل الذكر لا الحصر أعمال ملتقى «الموضوع الفلسفي: طرحه وتقييمه» إذ جاء في كلمة السيّد متفقّد مادة الفلسفة عبد الكريم المرّاق قوله:» قبل ثلاث سنوات عشنا تجربة قيل عنها إنّها تجربة تعريب الفلسفة ولكن هذه التجربة مرّت بنجاح. والفضل الأساسي والأوّل لهذا يعود إلى حماس الزملاء واندفاعهم وغيرتهم على المادة. وأن أولئك الّذين كانوا يعانون بعض الصعوبات الموضوعية هم اليوم من المؤلّفين والمساهمين في الإنتاج الفلسفي من حيث مختلف أنواع الإنتاج. وهذا لئن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على التأصيل والأصالة التي عليها كل فرد من أبنائنا وبناتنا التونسيين. بقي أنّ نجاح تعريب الفلسفة من حيث استبدال لغة بأخرى لا يعني النجاح الذي نرتضيه. فنحن مدعوون اليوم إلى إعادة النظر في المشاكل الّتي تعترض تدريس هذه المادة.. وأن نواكب سير التطور الذي تحرزه العلوم في مختلف الميادين وانعكاسات هذا التطوّر على تدريس الفلسفة وعلى المادّة في حدّ ذاتها... وأن نعيد النّظر في أساليبنا التربوية البيداغوجيّة وكيفية تدريس هذه المادة...»[٦١].

أمّا في ملتقى الحمّامات الذي كان مداره على تقييم كتاب الفلسفة فقد شدّد مدير إدارة البرامج في وزارة التربية في مفتتح النشريّة الّتي خصّصت لهذا الملتقى على الصّلة العميقة بين تعريب مادّة الفلسفة وصون الذّاتية الثقافية للتونسيين قائلا:» إنّ انطلاقة الفلسفة بدأت بتعريبها. وقد حرصنا على أن تكون لنا نظرة تونسية خاصة في تدريسها. فتدرّس باللغة الوطنية ضمانا لفهمها وحتى تكون

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الفلسفة جزءا مهمّا من ذاتيتنا الثقافية. وأذكّر هنا بأنّ الفلسفة الإسلامية احتلّت المكانة التي تليق بها: فبعد أن كانت مهدّدة، أصبحت تعتبر حلقة من حلقات التفكير البشري، وجزءا لا يتجزّأ من تراثنا الحضاري والثقافي ينبغي أن تكون له مكانته في التدريس»[٦٢].

من جهته أصدر المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية الجنوب في شهر ماي ١٩٧٩ جملة «نصوص في الفلسفة والأسطورة» مصوّبة بتمهيد وأسئلة اختارها أستاذان يساريّان في الفلسفة هما محمود بن جماعة ورضا الزواري وهذا بعد أن أدرِجت مشكلة «الأسطورة والفلسفة» في البرنامج الرسمي نتيجة التعديل الذي طرأ عليه سنة ١٩٧٩.

ب. مسار فكري

تنوّعت المؤلّفات الفلسفية التي أصدرها تونسيون من مشارب فكرية متنوّعة منها على سبيل الذكر لا الحصر ما كان في باب تأليف المعاجم مثل معجم المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة[٦٣] ليوسف الصدّيق، ومعجم الفلسفة[٦٤] الّذي أشرف على إعداده المتفقّد عبد الكريم المرّاق. ومنها ما كان في باب الدّراسات الفلسفية والتّعليمية ككتاب فتحي التريكي، أفلاطون والديالكتيكية[٦٥]، وكتاب أبي يعرب المرزوقي المقال الفلسفي في الباكالوريا[٦٦]، وكتاب لطفي العربي، مدخل إلى الإبستيمولوجيا[٦٧]. ومنها ما كان في باب الترجمات كترجمة عمر الشارني لكتاب جورج بوليتزار، المبادئ الأساسية في الفلسفة[٦٨]، وترجمة رضا بن رجب وعبد الرزّاق الحليوي لكتاب سيقموند فرويد، ٥ دروس في التحليل النفسي[٦٩]..

وقد توّج هذان المساران بحدثين فارقين في تاريخ توطين الفكر الفلسفي في المجتمع التونسي وحمايته من خطر الانشقاق والانغلاق وتعزيز القيم المشتركة:

أ. إصدار مجلاّت فلسفية جهوية

أصدر المركز الجهوي للتوثيق التربوي بصفاقس أوّل عدد من أوّل مجلّة فلسفية جهوية في تونس سنة ١٩٧٨-١٩٧٩. ثمّ تلاه المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية تونس فأصدر العدد الأوّل من مجلّة الفلسفة في مارس ١٩٨٠. وبعد شهرين أصدر المركز الجهوي للتوثيق التربوي بولايات الشمال-باجة،» العدد الأول من المجلة الفلسفية في ماي ١٩٨٠. وأخيرا أصدر المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية الوسط-سوسة العدد الأوّل من المجلّة الفلسفية في ماي ١٩٨١. وشكّلت هذه الحركية الفلسفية الجهوية تدعيما لتجربة تعريب مادّة الفلسفة وتشجيعا لحركة التأليف والترجمة، وشارك في كلّ عدد منها لفيف من الأساتذة من مشارب فكرية وأيديولوجية وسياسيّة مختلفة وكذلك من تلامذة، وتناولت مشكلات فلسفية متنوّعة من زوايا نظر مفترقة. وساعدت هذه التجربة على توطيد العلاقات بين

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

النّخب الفلسفية وتعزيز الثقة المجتمعية في قدرة الفكر الفلسفي على بناء جسور الحوار والتواصل رغم التباينات. وقد تعزّز هذا الدور الذي اضطلعت به النخب الفلسفية التونسية بتأسيس الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية وإصدار المجلّة التونسية للدراسات الفلسفية.

ب. تأسيس الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية وإصدار مجلّتها الجامعة

بعد أن نشرت مراكز التوثيق الجهوية الأعداد الأولى من مجلة الفلسفة بهدف تنشيط الحركة الفلسفية بكامل جهات الجمهورية وتقريب الفلسفة من الجماهير، توّج هذا النّشاط بتشكيل الهيأة التأسيسية للجمعية التونسية للدراسات الفلسفية يوم ١٩ أفريل ١٩٨٠ وضمّ أساتذة ينتمون إلى تيّارات فكرية وأيديولوجية وسياسية مختلفة، وعُقدت أوّل جلسة انتخابية بصورة قانونية يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٨١. وكان من أهداف القانون الأساسي للجمعية التونسية هو أولا، تمتين الصلة بين المهتمين بالدراسات الفلسفية في الداخل والخارج. وثانيا، العمل على إحياء التراث العربي في ميدان الدراسات الفلسفية[٧٠]. وثالثا، التشجيع على البحث الفلسفي وتوفير حاجيات العمل من مكتبة ومجلة وتنظيم أيام دراسية ومحاضرات وتعاطي كل نشاط يساعد على تحقيق تلك الأهداف. ثمّ تمّ أصدِر العدد الأول من المجلة التونسية للدراسات الفلسفية في شهر ماي من سنة ١٩٨٣.

وقد كان في انتخاب المتفقّد العام للتربية عبد الكريم المرّاق*، الحاصل على تكوين زيتوني وتكوين فلسفي مشرقي معا، أوّل رئيس لهذه الجمعية تكريما له على إسهامه المستمرّ في مختلف محطّات مسيرته التدريسية والتربوية، «في تنشيط الحياة الفلسفية والثقافية عبر المحاضرات والمسامرات والكتابات. فكان شخصا يُجمّع ولا يُفرّق، ينسج العلاقات الإنسانيّة ولا يفكّكها، يقبل النقد بصدر رحب. لم تأخذه يوما مّا العزّة بالانتماء إلى تيّارات الانغلاق أو التطرّف، ولم يلهث يوما وراء المجد والشهرة والنفخ في صورة الذات، بل غلب عليه طبع الرّصانة والهدوء والسعي الدؤوب إلى خدمة الفلسفة والثقافة العربية والإسلامية عبر مختلف المنابر التي مرّ بها والمسؤوليات التي تقلّدها». وقد تسنّى للمجلّة أن تواصل صدورها إلى اليوم بفضل روح التعاون الّتي نسجها بين أساتذة التعليم الثانوي وأساتذة التعليم العالي من اختصاصات مختلفة، وبين التونسيين وزملائهم غربا وشرقا، وبين المتفقدين والمرشدين، والتلامذة والطلبة. وهذه هي رسالة الفلسفة الحق التي تحفظ وحدة المجتمع ككل بالذبّ عن واقعتي الاختلاف والتنوّع.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الخاتمة

محصول القول، إنّه لا يمكن للفلسفة الحق أن تضطلع بدور حيوي في تمتين الثقة المجتمعية وتعزيز الرّوابط الإنسانية إلاّ بالارتكاز أساسا، من جهة، على اللغة-الأم[٧١] لأنّ غياب الاعتزاز بالانتماء في مستوياته المختلفة من شأنه أن يفضي إلى فراغ ذاتي وجمود في الشخصيّة ولا يمكن تبعا لذلك للانفتاح الثقافي أن يؤتي أكله في غياب التواصل الروحي المتين مع الينابيع الصافية في الشخص الإنساني. ومن جهة أخرى، لا يكون ذلك كذلك إلاّ بتنمية الحسّ النقدي وتعزيز القيم التنويرية من طريق العلم والفلسفة، الأدب والفن، العقل والحدس معا لأنّ تنشيط العمق الحيوي والخلاّق للأفراد هو الذي يفتح السّبل أمام ترقّي المجتمعات روحيا وماديا.

وعلى هذا الأساس، فإنّ تعزيز ثقة الذّات في ذاتها يشكّل موردا من الموارد التربوية الرّوحية الرئيسة الّتي تساعد على بناء نسيج مجتمعي متين ومحصّن في العمق وقادر على مواجهة العواصف الهوجاء لكن ينبغي أن تنمّى تلك الثّقة على نحو ديمومي من طريق تكوين علمي رصين بالرّجوع المباشر إلى الواقع في تطوّره بغية الإسهام الفعّال والمشترك في التخاصب الحضاري وفتح الآفاق أمام إمكانات أفضل للتقدّم الروحي والخلقي والمادي للإنسانية جمعاء.

الهوامش

١- وهي الانتفاضة الشّعبية التي حدثت يوم الخميس ٢٦ جانفي ١٩٧٨ والإضراب التاريخي للعمّال الّذي خلخل علاقة المواثقة بين المجتمع والدولة وكشف عن الشّرخ الحاصل في الثّقة الجامعة بين التونسيين. للتوسّع ينظر كتاب عبد الجليل التميمي (إشراف وتقديم)، إتّحاد الشغل والمعارضات السياسية. من الخميس الأسود إلى الثورة، تونس، مؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ٢٠١٧.

٢- أعلن بورقيبة نفسه رئيسا لتونس مدى الحياة في مسعى منه لإنهاء الصّراع الحادّ والجدل الدّائر على خلافته، وذلك بمقتضى تعديل دستوري تضمّنه القانون الدستوري عدد ٧٥-١٣ المؤرّخ في ١٩ مارس ١٩٧٥ أي عشية الاحتفال بالذكرى الواحدة والعشرين لعيد الاستقلال.

٣- يراجع الهادي التيمومي، تاريخ تونس الاجتماعي ١٨٨١-١٩٥٦، صفاقس-تونس، دار محمّد علي الحامي للنشر، ١٩٩٧، ص. ٥-٦.

٤- ينظر يوسف مناصرية، الحزب الحرّ الدستوري ١٩١٩-١٩٣٤، تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨.

٥- وهي وثيقة تحتوي على ستّين صفحة من الحجم الكبير(٢٠/ ٣٠). يراجع كتاب إدريس العباسي، بين بورقيبة وحنبعل:الهوية والتاريخ التونسيين منذ الاستقلال:

Driss Abbassi, Entre Bourguiba et Hannibal: identité tunisienne et histoire depuis l'indépendance, Tunis, Kalima, 2005, p. 53.

* أستاذ فيزياء، شغل خطة مدير التعليم الابتدائي ثمّ

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

الثانوي بتونس، كما اضطلع بخطة المتفقّد العام للتّعليم العمومي بفرنسا منذ سنة ١٩٧٢.

٦- وهو القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٥٨ المؤرّخ في ٤ نوفمبر ١٩٥٨. ويعدّ إصلاح التعليم التونسي المنظّم بهذا القانون أوّل أساس للنّظام التربوي التونسي في عهد دولة الاستقلال إذ طُرحت وقتها مشكلات تتّصل بلغة التعليم ونظامه وبإيقاع التمدرس، وارتكز هذا الإصلاح المشؤوم على إلغاء التعليم الديني التقليدي بجرّة قلم واحدة وهو الّذي كان يشكّل قلعة صامدة في مقاومة الاستعمار، ورافدا لا ينضب في حماية المخزون الروحي للتونسيين وخدمة الثقافة العربية والإسلامية، وحدث ذلك في سياق وطني متأزّم ناتج عن الصّدام بين اليوسفيين والبورقيبيين وهو جرح سياسي وثقافي واجتماعي لم يندمل إلى اليوم. وقد ألغِي نظام التعليم الإسلامي الأصلي الذي كان قائما بجامع الزيتونة في تونس وفروعه الخمسة والعشرين، والرّاسخ دينيا وتربويا ووجدانيا وثقافيا وحضاريا منذ ما يناهز الثلاثة عشر قرنا، رغم أنّ المؤسّسة الزيتونية حاولت باستمرار إصلاح نفسها بنفسها في مراحل مختلفة من تاريخها، [ألغِي] بتعلّة أنّه مكلف جدّا للدولة. وقام إصلاح دوبييس، صاحب التوجّه اللائكي الرّامي إلى توحيد التعليم في تونس وإضفاء الصبغة العصرية والعقلانية والوضعية على المنظومة التربوية، على اعتماد اللغة الفرنسية في تدريس المواد العلمية والتقنية في الشّعبة «ب»، بذريعة «عجز اللغة العربية «على تعليم العلوم الدقيقة»، وفي الشّعبة» ج» مع الحفاظ على التدريس باللّغة العربية في الشعبة «أ» على أن يقع التعريب التدريجي خلال عشر سنوات ليتمّ بعدها التّعريب بصفة نهائية. وقد استقال كاتب الدّولة للتربية القومية محمّد الأمين الشابي (وكان أستاذ الفلسفة محمد المزالي مدير ديوانه وقتها) ــ وهو شقيق الشّاعر أبي القاسم الشّابي- لرفضه المطلق لهذا المشروع الاستعماري وتمسّكه بتعريب التّعليم، وعوّضه الأديب محمود المسعدي، المتفقد العام وقتها للتعليم العمومي، يوم ٣ ماي ١٩٥٨، وتكفّل بتنفيذ المشروع بحذافيره ابتداء من لحظة إقرار القانون الجديد للتعليم يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٨، لكنّه اعترف في آخر أيام حياته بالجرم الذي ارتكبه في حقّ جامع الزيتونة واللّغة العربية والدّين الإسلامي والدّستور التونسي. وبالفعل بيّنت التطورات اللاحقة صحّة مخاوف الشّابي-مع أنّ بورقيبة والمسعدي لم يكونا في العمق ضدّ تعريب التّعليم وما طرحه من مشكلات الازدواجية اللغوية والانفتاح على اللغات الأجنبية- لكن الخطأ كان منهجيا واستراتيجيّا بالأساس إذ تحوّل المؤقّت إلى دائم ولذلك هوجما من طرف المشارقة، ومن داخل تونس من مناصري التّعليم الكلاسيكي الذين رأوا في تدعيم اللّغة الفرنسية تهميشا للّغة العربية، إذ بدلا من التعريب التدريجي آل الأمر إلى الفرنسة التدريجية للتعليم في مرحلتيه الابتدائية والثانوية، ومن ثمّ قاد الأمر حتميّا إلى تهميش اللّغة-الأم التي لم تعد تدرّس بها إلاّ موادّ اللغة العربية والتربية الإسلامية والتربية الوطنية، وهو ما يعني أنّه بدلا من التّعريب سقط المشروع الاجتثاثي في جوهره في تدعيم أركان التغريب بعزل الزيتونيين عن المنظومة التعليمية الجامعية وهم الّذين قدّموا خدمات جليلة في مجالات هامة منها القضاء الشّرعي وصون اللغة العربية وتعليم التونسيين (مدارس قرآنية) وكان بالإمكان الافادة من تجاربهم في انتظار تكوين إطارات جديدة مؤهّلة لتدريس الموادّ المختلفة، ومن ثمّ قدّم المشروع خدمة حيوية للمستعمِر وهو ما ترتّبت عنه تبعات سلبية لا زلنا نعاني من آثارها التشويهية إلى يوم النّاس هذا. للتعمّق في جوانب هذه المشكلة التاريخية المستعصية يراجع دراسة محمود عبد المولى (بالفرنسية): الجامعة الزيتونية والمجتمع التونسي» حيث بيّن كيف أنّ الرهان الحقيقي للمشروع التغريبي الاستئصالي الاجتثاثي لكلّ ما هو عربي إسلامي في التعليم والثقافة التونسيْن إنّما هو استمرار للهيمنة الثقافية والفكرية

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الاستعمارية في المجتمع التونسي وخلق نخبة موالية لفرنسا (الفرنكفونيّون) تخدم مصالحها على المدى الطويل. ينظر كذلك: الطاهر الحدّاد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تحقيق محمّد أنور بوسنينة، تقديم رجاء بن سلامة، تونس، منشورات دار الكتب الوطنية، ٢٠٢٠؛ محمّد الحبيب السلاّمي، أوراق زيتوني من شجرة الزيتونة، صفاقس-تونس، مكتبة علاء الدين، ٢٠١٨.

٧- يقول عبد المولى: «من اللاّفت للنظر أن نلاحظ أنّ السيد الأمين الشابي، وزير التربية القومية، أقيل من منصبه لأنّه كان مؤيّدا لتعريب التعليم، ومعارضا لتطبيق مشروع إصلاح التعليم في تونس». فهذا المشروع الشهير قام بإعداده السيد جان دوبييس.. واستدعِي محمود المسعدي، مدير التعليم الثانوي بالوزارة بدلا من الشابي، لتنفيذ مشروع السيّد دوبييس الإصلاحي..». يراجع:

Mahmoud Abdelmoula, L'Université zaytounienne et la société tunisienne, Tunis, CNRS, 1971, p. 110.

٨- أحمد الشرفي، « بين التّعريب والتّغريب»، مجلة العلم والتّعليم، تونس، العدد ٣٥، السنة الخامسة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص. ٢-٧. للتوسّع يراجع: عبد الكريم المرّاق وتوفيق الشريف ورضا بن رجب، تدريس الفلسفة باللغة العربية في تونس(١٩٤٨-١٩٨١)، تونس، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، سلسلة «الدراسات الفلسفية»، ١٩٨٢، « توحيد التعليم بتونس والتحويرات التي أدخلت على التعليم الزيتوني منذ الاستقلال وخاصة فيما بين ١٩٥٥-١٩٥٧»، ص. ٢٧-٢٩.

٩- للتوسّع يراجع مقال أحمد الشرفي، « بين التّعريب والتّغريب»، مجلة العلم والتّعليم، مرجع مذكور، ص. ٤-٦؛ ومقال محمّد علي قزمير، «تجربة التّعريب بشعبة «أ» خلال الستّينيات»، المرجع نفسه، ص. ٨-١٠. ويمكن الرّجوع أيضا إلى مذكّرات حمّادي صمّود، طريقي إلى الحريّة، صفاقس (تونس)، دار محمّد علي الحامي، ٢٠١٧، ص ١٤٥-١٥٥.

١٠- يراجع: الحسين بن عيسى، سجالات التونسيين مع الاستعمار ودعاة التّغريب (١٨٨١-١٩٨١)، تونس، مجمع الأطرش للكتاب المختص، ٢٠١٨، ص. ١٠ وما بعدها.

١١- ينظر: محمّد ضيف الله، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيّين بين الخمسينات والسبعينات، تقديم حسين رؤوف حمزة، صفاقس-تونس، مكتبة علاء الدّين، ٢٠٠٣.

١٢- للتعمّق ينظر كتاب محمّد ضيف الله، أزمة الحركة الطلاّبية التونسيّة من خلال الوثائق (١٩١٠-١٩٩١)، تونس، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، ٢٠٢٠.

١٣- المرجع نفسه.

١٤- هي أعرق منظّمة عمّالية في تونس تأسّست في رحاب الجمعية الخلدونية يوم ٢٠ جانفي ١٩٤٦.

١٥- رأى محمّد الصيّاح، في سلسلة حوارات أجراها معه المولدي الأحمر، أنّ الدستوريين هم من فكّروا في تأسيس اتّحاد الطلبة سنة ١٩٥٣ وكان «عندهم انتماء كامل للوطن» على الضدّ من بعض التونسيين الشيوعيين. يراجع: محمّد الصيّاح، الفاعل والشّاهد، حاوره المولدي الأحمر، تونس، سراس للنّشر، ٢٠١٢، الفصل الثالث:» في الاتحاد العام لطلبة تونس»، ص. ٥٢. للتوسّع ينظر كتاب مختار العياشي:

Mokhtar Ayachi, Histoire d'une Ecole de Cadres : L'Union Générale des Etudiants de Tunisie au cours des années 50/60, Tunis, Institut Supérieur de l'Histoire du Mouvement National,

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ٢٠١٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

2003, chap. IV, « Les Rapports de L'UGET avec les Organisations Nationales, puis avec l'Etat National », p. 114 sq. ;

عبد الرّحمان بن شعبان، الاتّحاد العام لطلبة تونس، النشأة والتأسيس والعلاقات، تونس، منشورات نيرفانا، ٢٠١٩.

* (١٩٣٣-٢٠١٨) مدير الحزب الاشتراكي الدستوري. كانت الميليشيا تردّد « يحيا المجاهد الأكبر» فيردّ عليها الطلبة بشعار « لا مجاهد أكبر إلاّ الشّعب».

١٦- يراجع كتاب أحمد عثماني مع صوفي بسيس، التحرّر من السّجن. تجربة عالميّة في إصلاح السّجون، تقديم روبير بادينتير، ديباجة ماري روبينسون، ترجمة عبد العزيز نويضي وإيمان شمص، مراجعة عبد الفتاح فاكهاني، صفاقس-تونس، دار محمّد علي للنشر، ٢٠١١. جاء في هذا الكتاب أنّ الشباب اقتحم في فترة الستينات «الحلبة السياسية بقوة. ففي البلاد التي شكّلت ما عرف بالعالم الثالث إذّاك، كرّس الجيل السابق حياته للصراع ضدّ الهيمنة الاستعمارية. فأطفال ماي و١٩٦٨ العالمي، عاشوا من جهتهم عصر خيبة الآمال بمغادرتهم الحقل السياسي أو سقوطهم في إغراء نداءات الهويّة أو الدّين. وبين الاثنين، حاول مناضلو الستّينات والسّبعينات، ذوي الجذور الرّاسخة في أرضهم، والأمميّين بتصميم في نفس الوقت، أن يفجّروا الثورة. وفي تونس، كان تأسيس «مجموعة الدراسات والعمل الاشتراكية التونسية» (GEAST)، وهي حركة أسّست في بداية الستينات في باريس وعرفت أكثر باسم «آفاق» (Perspectives)- الّذي كان عنوان مجلّتها أيضا- يجسّد أقصى اليسار في ذلك الوقت. وبدءا من ١٩٦٨، انصبّ القمع الرّهيب على الحركة، وأدخل قادتها وعددا من مناضليها في نفق السّجن الطويل الذي سيستمرّ أكثر من عشر سنوات بالنسبة لبعضهم، ومن بينهم أحمد عثماني». الفصل الأول: «مسار جيل»، ص. ١٥-١٦.

١٧- سمّي كذلك لأنّه كان امتدادا لما حدث في المؤتمر ١٨ للاتحاد العام لطلبة تونس الذي عقد في مدينة قربة سنة ١٩٧١ وجسّد محاولة سياسية فاشلة لتقوية شوكة الطلبة الدستوريين الموالين للحزب الحاكم والّذين شكّلوا خزّانا انتخابيّا ومنبتا سياسيّا وسجلاّ إداريّا لتكوين إطارات الحزب والدولة معا عبر تنصيب قيادة طلاّبية لاشرعية.

١٨- ترمي هذه المعارضة بجذورها في الفترة الاستعمارية التي شهدت «تسرّب الرأسمالية إلى تونس»، والصراع بين اليسار الماركسي حول المسألة النقابية. يراجع: رضا الزواري، الصّراع الطبقي في تونس (١٩٥٦-١٩٨٠)، تونس، صامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، تقديم، ص. ٥. للتوسّع ينظر كذلك: رضا الزواري، تسرّب الرأسمالية إلى تونس في عهد الاستعمار، تونس، التعاضدية العمّالية للنشر، ١٩٧٥.

١٩- عبّرا عن وعي طلاّبي إنسي وحقوقي هدفه التصدّي للإمبريالية والصهيونيّة من جهة، وإسناد حركات التحرّر الوطني في العالم من جهة أخرى.

٢٠- فشل نجمت عنه انتفاضة الفلاحين في بلدتي الوردانين ومساكن سنة ١٩٦٨.

٢١- تمّ حظر النشاط الطلاّبي في المغرب (الاتحاد الوطني للمغرب) في جانفي ١٩٧١، وفي الجزائر (الاتحاد العام للطلبة الجزائريين) سنة ١٩٧٣.

٢٢- العدوان الصهيوني الجائر على الأقطار العربية وهزيمة جوان ١٩٦٧. وقد شكّلت القضية الفلسطينيّة مدار حلقات النقاش الفكريّة والتحرّكات السياسيّة للتنظيمات الطلاّبيّة، إلاّ أنّه لا يخفى أنّها تحوّلت أحيانا إلى متاجرة لكسب النقاط الانتخابية الجماهيرية.

٢٣- العدوان الأمريكي الهمجي على الفيتنام الشمالية في ٧ فيفري ١٩٦٥.

٢٤- التي اندلعت شرارتها الأولى يوم ١٦ ماي ١٩٦٦ ضدّ تحوّل الطبقة البروليتارية إلى موضوعات للاستبداد

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

الرأسمالي المتوحّش.

٢٥- ينظر: محمّد ضيف الله، تراجم النّشطاء في الحركة الطلاّبية التونسيّة (١٩١٠-١٩٩١)، تونس، المنشورات الجامعية، ٢٠١٤.

٢٦- هي مجموعة اليسار الجديد الّتي رأت النّور في أكتوبر ١٩٦٣ بعد المحاولة الانقلابية في تونس، وحظر الحزب الشيوعي التونسي وصحيفته الطّليعة. ظلّت هذه الحركة ناشطة لفترة من الزمن صلب الجامعة. للتوسّع ينظر: عبد الجليل بوقرة، من التاريخ السرّي لليسار التونسي: حركة آفاق وفتح الآفاق (١٩٦٣-١٩٧٤)، تونس، دار آفاق، ٢٠١٣.

٢٧- تحدّث محمّد ضيف الله عن انقلاب بورقيبة على مبادئه النضاليّة إذ بعد أن كان يشجّع الطلبة المغاربيين عموما منذ سنة ١٩٣٧ على العمل السياسي وعدم الاكتفاء بطلب العلم وذلك لدحر المستعمر، فإنه لجأ سنة ١٩٧٢ إلى قمع الطلبة المعارضين لحكمه وسياساته، وإفراغ القوى المجتمعية الحيّة من عنفوانها النّضالي وتوقّدها الفكري إذ إنّ التطلّع إلى الجديد المختلف هو سمة الرّوح الشبابيّة، ومن ثمّ ضرب أهم مبدأين في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وهما الاختلاف والتنوّع. وكانت الذريعة وقتها هي « لا اعتراض على الحياة السياسية داخل باحات الجامعة لكن يمنع الإخلال بالأمن العام».

٢٨- يراجع: الهاشمي الطرودي، أضواء على اليسار التونسي، حركة آفاق نموذجا. شهادات وتأمّلات، صفاقس-تونس، دار محمّد علي الحامي، ٢٠١٣، ص. ٧١ وما بعدها.

٢٩- للتوسّع في نشاط الطلبة العرب التقدّميين الوحدويّين، والطليعة الطلاّبية العربية ينظر: سالم لبيض ومحمد ضيف الله، الطلبة العرب التقدّميّون الوحدويّون: نشأة التيّار القومي التقدّمي ونضالاته التاريخية في تونس. دراسة وتحقيق، وثائق ونصوص تاريخية مع رسالة من عصمت سيف الدولة، تونس، سوتيميديا، ٢٠١٧.

٣٠- حول نشأة الجناح الطلاّبي لحركة الاتّجاه الإسلامي ينظر: عادل الثابتي، الإتحاد العام التونسي للطلبة، خلفيات التّأسيس ومآلات المسار (١٩٨٥-١٩٩١)، تقديم عدنان المنصر، تونس، مكتبة تونس، ٢٠١٧.

31-Mohamed Mzali, Un premier ministre de Bourguiba témoigne, Paris, Jean Picollec, 2004, chap. IV, « Allers-retours au ministère de l'Éducation Nationale. La fausse querelle de l'arabisation », p. 295 sq.

* يعدّ أوّل أستاذ تونسي مسلم يدرّس مادة الفلسفة لتلامذة البكالوريا في المعهد الصّادقي العريق بتونس العاصمة، مادّة كانت حكرا على التّدريسيّين من الفرنسيين، فضلا عن أنّه أوّل مرشد بيداغوجي في المادّة نفسها بالنسبة إلى دار المعلّمين بتونس. وقد عمل جنبا إلى جنب مع صديقه ورفيقه الأستاذ الكرّاي.

** ولد محمّد الكرّاي بمدينة صفاقس التونسية يوم ٢٠ أكتوبر١٩٢٨، وتوفّي يوم ١٩ أوت ٢٠٠٠. زاول تعليمه الابتدائي بمدرسة الهلال بمدينة صفاقس وكان وقتها التّونسي المسلم الوحيد في قسم أ، السّادسة كلاسيكي(Section Asixième classique)، ثمّ ارتقى إلى التعليم الثانوي بمعهد البنين بالمدينة نفسها وتابع دروسه فيه من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٨. نشط التلميذ محمّد الكرّاي في الجمعيات والنّوادي الثقافيّة ولا سيّما منها المسرحيّة والسّينمائيّة والكشفيّة. أحرز سنة ١٩٤٨ على شهادة الباكلوريا، قسم الفلسفة، وعلى الشّهادة العليا في العربيّة (Diplôme Supérieur d'Arabe). ثمّ تابع بعد ذلك دروس السنة التحضيريّة بمعهد الدّراسات العليا بتونس (Institut des Hautes Études) من أكتوبر ١٩٤٨ إلى جوان١٩٤٩. حصل على الإجازة في الفلسفة من

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ٢٠١٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

كليّة الآداب السوربون في باريس سنة ١٩٥١، وعلى شهادة الدّراسات العليا في الفلسفة (Diplôme d'Études Supérieures) سنة ١٩٥٢، وحصل كذلك على شهادة في الإناسة (Certiĕcat d'Ethnologie) سنة ١٩٥٣. شارك، في أوقات مختلفة، في مناظرة شهادة الكفاءة للأستاذية في التعليم الثانوي (C.A.P.E.S)، وكذلك في مناظرة التّبريز في الفلسفة ولكنّه لم يوفّق في ذلك لأسباب متعدّدة. سجّل الكرّاي في رسالة الدكتوراه في كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة باريس في شهر فيفري من سنة ١٩٧٠ تحت إشراف المستشرق الفرنسي روجيه أرنالديز(Roger Arnaldez) وكان موضوع رسالته هو الدهريّة في الفلسفة الإسلاميّة (La Dahriyya dans la philosophie musulmane). باشر محمّد الكرّاي تدريس مادّة الفلسفة بالفرنسية بمعهد البنين بصفاقس منذ غرّة أكتوبر من سنة ١٩٥٤ وقد عمد مدير التعليم العمومي والفنون المستظرفة آنذاك الفرنسي لوسيان باي(Lucien Paye) إلى إصدار قرار جائر يقضي بتسمية الكراي منذ صائفة ١٩٥٥ أستاذا لمادة الفرنسية بدلا من مادة الفلسفة مستشعرا وقتها الخطر السّياسي الذي يمثّله الأستاذ الكرّاي وفكره والخطر الذي تمثّله الفلسفة بالنسبة إلى تكوين الأحرار والمستقلّين. وقد كان موقف تلامذة الكرّاي وقتها تاريخيا حيث وجّهوا لائحة احتجاجية ممضاة من قبلهم إلى وزير التربية القومية. كما وقفت النقابة التونسية للتعليم الثانوي- فرع صفاقس- إلى جانب الأستاذ الكرّاي وحقّه في تدريس الفلسفة لا غير. وقد تعرّض الأستاذ محمّد الكرّاي لاحقا خلال سنة ١٩٦٣، إثر المحاولة الانقلابية الفاشلة على نظام الرئيس بورقيبة، إلى ضروب من المضايقات والعقوبات تجلّت خصوصا في إحالته على التحقيق القضائي وإيقافه عن التّدريس ابتداء من يوم ٢٠ أفريل ١٩٦٣، وتعويضه بأستاذ آخر، وذلك في فترة حسّاسة يحتاجه فيها تلامذته للاستعداد جيّدا لاجتياز امتحان البكالوريا. وتمّت نقلته بعد ذلك إلى معهد البنين ببنزرت من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٧. وأخيرا درّس بمعهد البنين بخزندار بباردو من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٦٩. وقد خاض في هذه المسيرة تجربة تدريس الفلسفة بالعربية وتدريس مادّة الفرنسية في فترات محدودة لا سيّما في الحي الزّيتوني على الرّغم من أنّه كان شيوعيّا. كما ساهم في تقديم بعض الحصص الإذاعية الخاصّة بمادّة الفلسفة لتلامذة الباكالوريا. عُرف الأستاذ محمّد الكرّاي- طوال مسيرته التدريسيّة- بجدّيته وكفاءته البيداغوجية وعمق ثقافته. وممّا يحسب له في تجربته التدريسيّة جمعه بين الطريقة التّفاعليّة النّشطة والعمل على المصطلح الفلسفي انطلاقا من النّصوص، وكذلك سعيه المستمرّ إلى جعل التلميذ قادرا على تطوير ثقافته انطلاقا من الحرص على إثراء زاده المعرفي بتجارب تعاش خارج القسم: في السينما، في المقهى، في الشارع، في العائلة، وفي المستشفى، الخ. وفي هذا السّياق يقول تلميذه محمّد صالح فليس: « ورغم أنّنا لم نتتلمذ عليه إلاّ عاما واحدا في خاتمة مطافنا الدّراسي الثانوي فقد طبعنا أستاذنا المتميّز المرحوم محمّد الكرّاي الذي لقّننا بحبّ ومهارة عاليين أصول الفلسفة ودرّبنا باقتدار على ولوج ثناياها والتعوّد على منزلقاتها». محمّد الصّالح فليس، سجين في وطني، صور من يوميّات معتقل سياسي، تونس، دار نقوش عربية، ٢٠١٦، « المرحلة الثانوية بمعهد بنزرت»، ص. ٦٤. أمّا محمود بن جماعة فاعتبر أنّه مدين في تكوينه التدريسي للمتفقّد محمّد الكرّاي إذ يقول:» وقد وجدته وهو يمارس مهمّة التفقّد وفي لقاءاته التربويّة مع الأساتذة، على نفس الخصال من التّواضع والاقتدار والأريحيّة ودماثة الخُلق وروح الدّعابة». محمود بن جماعة،» محمّد الكرّاي (١٩٢٨-٢٠٠٠)، المجلة التونسيّة للدراسات الفلسفية، «الفلسفة وتعليمها» السّنة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، عدد٣٢/ ٣٣، ٢٠٠٣، ص. ٢١٠. ويضيف ابن جماعة قائلا:» وقد

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

بـادر أثناء فـترة مباشرتـه للتفقّد حوالي خمس سـنوات، بتغيير طريق التدريس ووسائله قصد إحلال الحوار محلّ التّلقين وتفعيل دور التّلميذ في درس الفلسـفة ليتخلّص مـن السـلبيّة والتّـواكل ويتـدرّب على التفكـير. فكانت لـه الرّيادة في تونـس في اعتماد النّصوص سـندا للدّرس الفلسـفي لتحقيـق هـذه الأهـداف وربـط الصلـة بـين التّلميـذ وبين ما أنتجه الفلاسـفة، لا على سـبيل التّقليد ولا بهـدف التأريخ، وإنّما للاسـتفادة منهم تحليلا ونقدا في معالجة المشكلات الفلسفيّة»، المرجع نفسه، الصفحة نفسـها. للتوسّع في سيرة محمّد الكرّاي ومسيرته يراجع: خالـد البحـري ومحمّـد البشـير قلوز(دراسـة وإعـداد وتقديم)، محمّد الكرّاي: الماركسي الأخير. سيرة نضالية ومسيرة فلسفية، مع دروس له غير منشورة Cours de Philosophie (١٩٦٤-١٩٦٥) ، تونـس، الشركـة التونسـية للنشر وتنمية فنون الرسم، ٢٠٢١، «نبذة عن محمّد الكرّاي: سـيرة رجـل يأباه النّسـيان»، ص. ٢٣-١٣٢.

٣٢- عبّر محمّد الكرّاي عن رغبته، منذ سنة ١٩٦٧، في تعيينه في خطّـة متفقّـد لمـادّة الفلسـفة أو مرشـد بيداغوجي في المادّة نفسـها. ولم يتيسّر له أن يباشر وظيفته متفقّدا مجازا للتعليـم الثانـوي إلاّ اعتبارا من سـنة ١٩٦٩ إذ ضمّت قائمة كفاءة لخطّة متفقّد مبرّز للتعليم الثانوي(Liste d'aptitude aux fonctions d'inspecteur de l'Enseignement du Second degré Licencié) إلى جانب الأسـتاذ كرّاي الأساتذة: أحمد الفـاني ومحمّد الطنني ومحمّـد فيّالة وعبـد المجيد ذويب ومحمّـد الحبيب زغندة والمختار قـدّاش. في حين ضمت قائمـة كفـاءة لخطّة متفقّد مـبرّز للتعليم الثانوي أسـتاذا وحيدا وهـو عبد المجيد عطيّة. يراجع: الرائد الرسـمي للجمهورية التونسـية، عدد ٣٩، الجمعـة ١٤- الثلاثاء ١٨ أوت ١٩٧٠، ص. ١١٤٨. ويعـدّ الكـرّاي بذلـك أوّل متفقّـد لمـادّة الفلسـفة في تونس. وقـد عمل خلال هـذه المـدّة القصـيرة نسـبيّا والثريّة على نحـوٍ لافتٍ على الإشراف بمعيّـة ثلّـة مـن الأسـاتذة على إصـدار كتاب باللّسـان العـربي وهو مختارات من الفلسـفة الإسـلامية [ط.١، ١٩٧٢؛ ط.٢، ١٩٧٣]. كـما أصـدر باللّسـان الفرنسـي مجموعـة مـن الكتـب المتّصلة بـمادّة الفلسـفة في الباكالوريـا ومنهـا مـا كان بمعيّـة بعـض الأسـاتذة الفرنسـيين. أمّا على مسـتوى التكوين البيداغوجي فقد كان مضطلعـا بهذه المهمّـة في كنف المسـؤوليّة والجديّة. وشـمل نشـاطه كافّـة الأسـاتذة مـن فرنسـيّين معاونين ومـن تونسـيّين مبتدئين (الأسـاتذة الأجانـب كانـوا منتدبـين في أغلبهم في إطار التعـاون الثقافي، وكان عدد الأسـاتذة التونسـيين، حسـب إحصائيـات ١٩٧١-١٩٧٢، ٣٠٩ مـن جملة ٦٦٢ أسـتاذا) وذلك بمختلف معاهـد الجمهورية التونسـية. وتوزّع عملـه المكثّف بين الزيـارات التفقّديّـة والإرشـاديّة، وبـين الاجتماعـات البيداغوجيّـة والتربّصات، وكذلك الدّروس الشـاهدة وغيرهـا. وقد شـهد لنـا الأسـتاذ مصطفى بـن عبد الله بالعمـل الجبّـار الذي قـام به المتفقّـد الكرّاي فيـما يتعلّق بتكوين الجيل الأوّل من أسـاتذة الفلسفة التونسيّين وفي الدّفاع عن قيمة الفلسـفة وروحها. في هذا السّياق يقول الأسـتاذ ميشـال نـارسي (Michel Narcy)- وقـد درّس الفلسـفة بالمعهـد الصادقـي إلى جانـب الأسـتاذ مصطفـى بـن عبد الله، واشـترك مـع الكـرّاي في تأليف كتـاب مختـارات مـن النصـوص الفلسـفية- في رسـالة إلكترونيـة بعث بهـا إلينا بتاريـخ ٢٦ فيفـري ٢٠٢٠:» عندمـا غادرت تونس عـام ١٩٧٣، كان محمّـد الكرّاي لا يزال يشـغل خطّة متفقّد مادّة الفلسـفة. كان مسؤولا عن إنشـاء مقرّر فلسـفي جديـد باللغة العربيـة- وكان المقرر الرسـمي وقتهـا باللغة الفرنسـية- والذي أصبح ضروريّـا بفضل مشروع تعريب التعليم الذي سيشـمل مـادة الفلسـفة أيضـا». وفي هذا السّـياق أيضـا ذكر لنا حمّودة القليبي أنّه خلال السنة الدّراسيّة ١٩٧٤-١٩٧٥ تشـكّلت مجموعة من الأساتذة اشـتغلت بمبادرة فرديّة عـلى جملة مـن المسـائل المنهجيّـة. وكان المتفقّـد الكرّاي

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

يجتمع بهم أسبوعيا للنّظر في الأشواط المتقدّمة لتحضير جذاذات خاصّة بكلّ درس مع بعض النّصوص وذلك لتزويد الأساتذة بها. غير أنّ هذا العمل لم يتواصل ولم يتمّ انجاز إلاّ وثيقة واحدة من ٢٧ صفحة عنوانها» الفلسفة في دروس ونصوص» من إعداد وترجمة محمّد الكرّاي (باعتباره متفقّدا) والأستاذ خليفة الغنودي، مدير مدرسة ترشيح المعلّمات بقربة، والأستاذ محمّد بن رمضان، مدير مدرسة ترشيح المعلّمين بمنزل بورقيبة.

* (١٩٢٤-) شغل منصب وزير التربية القومية من ١٧ مارس ١٩٧٣ إلى ٣١ ماي ١٩٧٦. ينظر إليه على أنّه المهندس السياسي للتعريب بينما هو ينسب ذلك إلى الوزير محمّد مزالي. وقد أصدر منذ أسابيع مذكّراته بالفرنسية بعنوان على درب بورقيبة ١٩٣٤-١٩٨٤:

Driss Guiga, Sur le chemin de Bourguiba 1934-1984, Tunis, Cérès Editions, 2024.

٣٣- يراجع: عبد الكريم المرّاق وتوفيق الشريف ورضا بن رجب، تدريس الفلسفة باللّغة العربية في تونس (١٩٤٨-١٩٨١)، مرجع مذكور، ص. ٩٩-١٠٠.

* (١٩٢٥-٢٠١٠). حصل بمعيّة قرينته فتحية مختار على الإجازة في الفلسفة من السوربون سنة ١٩٥٠. وكان قد أنجز بحثا جامعيا تناول فيه الخصومة الفلسفيّة بين الغزالي وابن رشد.

Mohamed Mzali en Sorbonne : la fête de l’esprit. Avec une étude de Mohamed Mzali sur une polémique entre EL-Gazali et Ibn Rochd, Tunis, Dialogue, 1985, 96 pages.

نشط نقابيّا صلب الاتحاد العام التونسي للشغل ممثّلا عن التّعليم الثانوي وذلك للتصدّي للمخطّط الاستعماري الرّامي إلى محو اللغة العربية. أسّس سنة ١٩٥٥ المجلة الرّائدة الفكر، وشغل في مسيرته الثريّة عدّة مناصب سياسية آخرها وزيرا أوّل. ترك كتابات وترجمات مختلفة.

34- Le travail est-il une source d’aliénation ou de libération?

35- Mohamed Karray [Inspecteur] et Étienne Cossement, Michel Narcy, Pierre Ferrara [Professeurs], Recueil de Textes Philosophiques, Tunis, Société Tunisienne de Diffusion, 1971, Fascicule I, II, III et IV, 139 /173/167/130 pages.

٣٦- يراجع: جريدة الصّباح (تونس)، الجمعة ٣١ أكتوبر ١٩٧٥، ص. ١٥. خاطب الوزير محمّد مزالي أساتذة الفلسفة منبّها إيّاهم من خطر النزوع إلى الأدلجة اليسراوية في تدريس مادّة الفلسفة قائلا: «إياكم يا رجال التعليم أن تنساقوا إلى الأقاويل والأراجيف والتحاليل المريضة والمغالطات وأن تنطلي عليكم تلكم الحيل المقصود بها الإبقاء على مركّب النّقص وعلى الفوضى اللغويّة وعلى التّذبذب في مستوى تفكير أبنائنا والإبقاء علينا مستهلكين بضاعة الغير بدون أن نعتزّ وبدون أن نطمح إلى التّأليف والإنتاج والخلق والتّعاون مع الغير على قد المساواة في المستوى الثقافي وفي المستوى الحضاري». يراجع: نشرية المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية تونس، مارس ١٩٧٩، أعمال الملتقى الفلسفي «الموضوع الفلسفي: طرحه وتقييمه» نزل الماجستيك، تونس ١٢-١٣ جانفي ١٩٧٩، ص. ٤.

٣٧- الحقّ أنّ محمّد الكرّاي، الشيوعي الصّميم، تعرّض للإقصاء في فترات مختلفة من مسيرته المهنيّة إذ حاول مدير التعليم الفرنسي إقصاءه من تدريس مادة الفلسفة ليلحقه بمدرّسي مادة اللغة الفرنسية، ثمّ حوكم بعد العملية الانقلابية الفاشلة على بورقيبة عام ١٩٦٣ ونقل إلى معهد البنين ببنزرت بعد أن كان يدرّس في مسقط

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

رأسه بصفاقس، كما صُدّت الأبواب في وجهه عندما طلب الالتحاق بالتدريس في قسم الفلسفة بالجامعة التونسية الفتيّة، ورفض عبد الوهّاب بوحديبة في بداية العام ١٩٧٧ نقلته إلى مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بعد أن ارتأى محمّد الهادي خليل، مدير التعليم الثانوي آنذاك، ذلك وهذا بسبب قناعاته الأيديولوجيّة بعد أن جمعتها الكتابة على أعمدة جريدة منبر التقدّم اليسارية!

٣٨- مقتطف من شهادة الأستاذة المتميّزة زينب بن سعيد الشارني، « Hommage à mon professeur Monsieur Abdelkerim Marrak » ، وردت ضمن كتاب: خالد البحري، عبد الكريم المرّاق (١٩٢٥-٢٠١٧) وإسهامه في تنشيط الحياة الفلسفية في تونس، تصدير توفيق الشريف، تونس، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، ٢٠٢٢، ص. ٢٢٥. يراجع أيضا: المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، السنة ٣٧-٣٨، العدد ٦٢-٦٣، ٢٠١٩-٢٠٢٠، [p. ٦٣].

٣٩- فتحي التريكي، « في حضرة الصّوت المهيب»، مساهمة ضمن الكتيّب الجماعي الّذي أصدره المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» على إثر رحيل بوحديبة بعنوان: عبد الوهاب بوحديبة ١٩٣٢-٢٠٢٠، تونس، منشورات المجمع، ٢٠٢١، ص. ٢٥-٢٦.

* عبد الوهاب بوحديبة (١٣ أوت ١٩٣٢-١٧ ديسمبر ٢٠٢٠) أوّل مبرّز تونسي مسلم في الفلسفة منذ سنة ١٩٥٩، وحاصل على دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية من السوربون سنة ١٩٧٢. ترأّس من سنة ١٩٦٤ إلى سنة ١٩٨٢ أقسام الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس بكليّة الآداب والعلوم الاجتماعية بتونس. شغل خطّة مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بتونس من سنة ١٩٧٢ إلى سنة ١٩٩١. نحت مسيرة فكرية ومهنية وأكاديمية وطنية ودولية متنوّعة وثريّة. ترك أكثر من مئة بحث بالعربية والفرنسية والإنجليزية وبعضها ترجم إلى لغات منها الألمانية والصينية والإسبانية واليونانية والإيطالية والروسية واليابانية. للاستزادة يراجع الكتيّب الجماعي الّذي أصدره المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة" على إثر رحيل بوحديبة بعنوان: عبد الوهاب بوحديبة ١٩٣٢-٢٠٢٠، تونس، منشورات المجمع، ٢٠٢١. في هذا السياق جاء في ترجمة الأستاذ المغربي محمّد عزيز الحبابي الواردة في معجم الفلاسفة متحدّثا عن بوحديبة قوله:» استفاد عبد الوهاب بوحديبة أستاذ علم الاجتماع الإسلامي والمغاربي بجامعة تونس، والمبرّز في الفلسفة، والحاصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون من ثقافته المزدوجة العربية والفرنسية التي اكتسبها في القيروان، ثمّ في تونس، ثمّ في السوربون حيث تتلمذ على يد أشهر الأساتذة الفرنسيين آنذاك كموريس مرلوبونتي وغاستون باشلار وجان هيبوليت وفرديناد ألكييه وروجيه باستيد وبول ريكور...لكن ما من أحد من هؤلاء أثّر فيه على نحو جعله ينسى قوّة الفكر العربي والإسلامي الكلاسيكي وحيويته من الغزالي إلى ابن عربي، ومن فخر الدين الرازي إلى الشيخ محمد عبده. كلّ شيء عزّز لديه قناعته بأنّ الإيمان بالله وبالإنسان، غير المنفصلين، يشكّلان الحقيقة الواقعية التي يجب إنقاذها بأيّ ثمن، وأنّ الإيمان وحده هو الذي يمكنه أن يمنح معنى للوجود المأساوي». يراجع:

Aziz Lahbabi, « Portrait '' Abdelwahab Bouhdiba '' », in Dictionnaire des Philosophes, Paris, PUF, 1984, p. 375.

٤٠- من الحاضرين من العراق الدكتور علي الوردي الأستاذ المتمرّس بقسم علم الاجتماع والدكتور حازم طالب مشتاق رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة بغداد، ومن مصر زكي نجيب محمود وعلي سامي النشار، ومن المغرب محمد عزيز الحبابي، ومن الجزائر عبد المجيد مزيان، ومن تونس محجوب بن ميلاد

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

وهشام جعيط والطاهر لبيب، الخ.

٤١- فتحي التريكي، "في حضرة الصّوت المهيب"، مرجع مذكور، ص. ٢٥.

٤٢- عبد الوهّاب بوحديبة، «الزمنيّة» في الثقافة العربيّة الإسلاميّة»، المجلّة الصادقيّة، عدد ٣٣، جانفي ٢٠٠٤، ص. ١٠. ويضيف بوحديبة في موضع آخر قائلا: «إنّ المجتمع المنسجم هو الذي يتوصّل إلى (توافق) الزمن والجسد حسب متفرّقات الحياة، أمّا كلّ ضروب الاختلاف والتنافر، فإنّها تؤدّي مباشرة إلى مجال آلام الفوضى الفرديّة أو الجماعيّة. لكنّ المجتمعات العربيّة الإسلاميّة تنساق اليوم إلى العيش على مقتضى الزّمنيّات العصريّة وبالتّالي إلى اختراع طرق جديدة للتعامل مع الزّمن، وفي نفس الوقت، وبحكم تعلّقها بماضيها، فهي تعيش جانبا من حاضرها كما لو كان وقتا منْسيّا تُحاول جاهدة أن تستعيده. إنّه سعي متواصل إلى زمن لعلّه يظلّ حميما إلى الأبد، وإنّ حنيننا إلى الماضي الذي نعرف جيّدا أنّه مضى وانقضى هو في نفس الوقت-وهنا تكمن المفارقة- اندفاع نحو المستقبل». عبد الوهّاب بوحديبة، «الزمنيّة» في الثقافة العربيّة الإسلاميّة»، المرجع نفسه، ص. ٥.

٤٣- عبد العزيز قاسم، « دردشات مع مثقّف استثنائي»، مساهمة ضمن الكتيّب الجماعي الّذي أصدره المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» على إثر رحيل بوحديبة بعنوان: عبد الوهاب بوحديبة ١٩٣٢-٢٠٢٠، مرجع مذكور، ص. ٣٧-٣٨.

٤٤- لجنة الدراسات الاشتراكية تنتمي إلى مصلحة التوجيه التابعة للديوان السياسي للحزب الاشتراكي الدستوري. يراجع على سبيل الذكر تدخّل بوحديبة في الحلقة الأولى من موضوع «الملكية» في جلسة يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٥ (منشورات اللجنة عام ١٩٦٩).

٤٥- ميّز بوحديبة بين نمطين مختلفين من النزعة الإصلاحية (réformisme): تلك القائمة على ردّة الفعل إذ ردّت الحركة السلفية الفعل عندما واجهت مشاكل طارئة وحادثة مثل الاستعمار، وهذا ما بدا من النزعة الإصلاحية البادیسية (وكذلك مع سالم بوحاجب) إذ تمّ رفض كل ما هو تجديد وكل ما كان تحديثا من أجل البحث عن تطهير أصلي وحقيقي للإسلام أي البحث عن النقاء التام. أمّا النزعة الإصلاحية الثورية التي دشّنها الطاهر الحداد وامتدت إلى بورقيبة فقد اشتغلت على تطوير البنى الاجتماعية. للتوسع يراجع بحثه في الصّعاب التي تكون أمام الذات في سعيها إلى أن تكون هي نفسها، وتمييزه من ثمّ لمعنى «الأصالة» في اللغة العربية من اللغة الفرنسية، وكذلك مقاربته لعلم الاجتماع المغاربي:

Abdelwaheb Bouhdiba, « Des difficultés d'être soi-même: Asala-Authenticité », Revue Tunisienne de Sciences Sociales, 27ème année, 1990, n° 100, p. 191-192 ; « L'Islam maghrébin : essai d'une typologie », Revue Tunisienne de Sciences Sociales, 2ème année, 1965, n° 4, p. 3.

46- Abdelwahab Bouhdiba, « L'arabisation de la philosophie », entretien avec Abdelwahab Bouhdiba, Rue Descartes, n° 61, 2008/3, p. 78. DOI 10.3917/rdes.061.0078

٤٧- ينظر كتاب محمّد المنجي الصيّادي، التّعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة «أطروحات الدكتوراه/ ١»، ط.٥، ١٩٩٣، (ط١، ١٩٨٠).

٤٨- عبد الوهّاب بوحديبة، « ثقافة الحوار من أجل حوار الثقافات»، مجلة رحاب المعرفة (تونس)، السنة ٦، العدد ٣٢، مارس-أفريل ٢٠٠٣، ص. ١٢. وقد

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

تناغم موقف بوحديبة هـذا مع موقف مزالي الّذي وجّه نقدا لاذعا «للمدرّسـين المذهبيّين»، ونلتمس العذر من القارئ في إيراد هذا الشـاهد المطوّل:» «إنّ هؤلاء المربّين الذيـن لم تحرم تونس من مريدين لهم والحمد لله يعتنقون مذهبـا ويتعصّبـون لـه و يؤولـون كلّ ما يكتـب وينشر أو يعيـدون قراءة أمّهـات المراجع كما يقولـون، ليقيموا الدليـل عـلى أنّ المفتـاح الذي يفتـح كلّ أبـواب المعرفة موجـود في الماركسـية أوالهيكليّـة أو الألسـنية أو علـم النفـس التحليلي، وأنّ مـا عدا ذلك رجعيـة و،، مثالية،، بورجوازيـة وضباب أيديولوجي! و هكذا يقع التلامذة الأبريـاء في قبضة هؤلاء الإرهابيـين المذهبيّين، فيتجمّد تفكـير التلامـذة والطلبـة، عـوض أن ينشـط، ويخمـد تطلّعهـم إلى المعرفة عوض أن يسـتيقظ، ويحيون في عالم اصطناعـي مانوي، ويصيبهم داء العجز عن فهم الواقع الحيّ المتغيّر المحيط بهم، والاستعداد النفسي للتأثير عليه [...]. إنّ تدريس الفلسـفة سـلاح ذو حدّين فإذا سمع صـوت المفكريـن الأحـرار وفـرض الأسـاتذة الشرفاء أنفسـهم استطاعت الفلسـفة أن تؤدّي وظيفتها السّامية في إعداد الشـباب إلى الحياة، أمّا إذا طغى التعصّب وعمّ التمذهـب الأعمـى واقتنعت الأجيال الصاعـدة بأنّه لا شيء أصحّ ممّا نادى به الشـيخ ماركس أو العبقري فرود أو النابغة ماركوس...فإنّ العبودية للكلام سـتدمغ كلّ محاولة لتحرير الشبّان الذين سيضطرّون في آخر المطاف إلى أن يمشوا مشية القهقرى أو إلى أن يفلتوا من واقعهم المـرّ بالرّكـون إلى العنـف والاسـتهتار أو الشـكّ. [...] «أمّـا نحن فلا نزال نؤمن برسـالة الفلسـفة وبعيد أثرها في خلـق أجيال حـرّة في تفكيرها مسـتقلّة بآرائها متهيّئة إلى الاضطلاع بمسـؤولياتها في المجتمع. ولكنّ ذلك لن يتـمّ إلاّ إذا عزمنا وقدرنا على اتخـاذ الإجراءات الكفيلة بصيانتها من بعض السّـدنة والقساوسـة وتجّار الأوهام الذيـن لا يتردّدون-بدعـوى حصانـة الجامعـة وحرمـة الـدرس والمدرّس وفي ظـلّ الحريّة التـي وفّرها لهم هذا النّظام الـذي يصفونه رغـم ذلك بالجور السـيطرة...-

في الاعتـداء بالفاحشـة الأيديولوجيـة على أبنائنـا وبناة مسـتقبلنا ويفرضـون عليهـم محتـوى عقائديّـا يطبعهم بطابع الانتسـاب الآلي والتصديق الساذج ويملأ قلوبهم حقدا على كلّ الآراء المغايرة ويجعل منهم في آخر المطاف ضحايـا عـلى أهبـة للسـير وراء كلّ مغامر متقنـع بقناع أيديولوجي مسـتورد ظاهره التحـرّر والتقدّم والتقدّمية وباطنـه النيل من أعزّ مقوّمات هذا الوطن والقضاء على شخصيته والوقوع به في استعمار جديد أين منه الاستعمار الذي قاومناه عليه؟ فهل ندرك أبعاد هذه القضيّة ونتّفق على خطّة للرّجوع بدروس الفلسـفة إلى ما جعلت له؟» يراجـع: محمّـد مزالي،»أزمـة الفلسـفة»، جريـدة القنال (بنزرت-تونـس)، العـدد٥١، سلسـلة جديدة، السـنة التاسعة، ١ ماي ١٩٧٥، ص. ٣. التّشديد من وضعنا.

٤٩- أورد خالد النجّار في «الملف الخاص بتعريب الفلسـفة» حادثة كاشـفة عـن التباين بين التيّـارات والآراء مفادها أنّـه في اليـوم الأول مـن انطـلاق أعمال مؤتمـر التعريب وأثناء إلقاء محجوب بن ميلاد محاضرة في الجلسـة الثانية برئاسـة علي سـامي النشار-الأسـتاذ المحـاضر بجامعة الإسـكندرية سـابقا- حـول قضيـة المصطلحـات « لم تكـد تنتهي هـذه المحاضرة حتـى قاطع أسـاتذة التعليم الثانوي الشـبّان المؤتمـر. لقد رفضوا الطّابـع الأكاديمي لاجتماعاتـه». يراجـع مجلة الحياة الثقافية، السـنة الثانية، رمضـان/ شـوال ١٣٩٦، سـبتمبر/ أكتوبـر ١٩٧٦، «ملـف خـاص بتعريـب الفلسـفة»، مـن إعـداد خالـد النجّار، ص. ١٠٥.

٥٠- تألّف كتاب الفلسـفة من جزأين ضـمّ الجزء الأوّل منه بابـا أوّل عنوانه مدخل عام للفلسـفة وتـوزّع على ثلاثة فصول. أمّا الباب الثـاني فعنوانه المعرفة وتفرّع إلى ثمانية فصول. وتألّف الجزء الثاني من باب أوّل عنوانه الإنسان والكـون وضـمّ سـبعة فصول، بينـما كان عنـوان الباب الثاني هو الإنسـان والمجتمع وتكوّن من سـبعة فصول. وختـم الجـزء الثـاني بقائمـة في المصطلحـات الفلسـفة باللغتـين العربيـة والفرنسـية [ص. ٥٨٥-٦٠٣]. وممّا

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

يلاحظ هو أنّ التعليم الجامعي عندنا ظلّ -بخلاف التعليم الثانوي- محافظا في أقسام الفلسفة على منزلة «مستقلّة» لمادة الفلسفة الإسلامية.

٥١- من الأخطاء التي قامت بها اللجنة، في هذا السياق، إدراج ثلاثة نصوص للرئيس الحبيب بورقيبة ونصّين للوزير محمّد مزالي! وقد تمّ تدارك الأمر في النّشرات اللاحقة.

٥٢- يراجع المؤاخذات التي تضمّنها مقال راشد الخريجي على كتاب منتخبات النصوص الفلسفية للكراي وكيف أنّه تضمّن ثمانية نصوص لفلاسفة مسلمين من جملة ٤٠٠ نص لفلاسفة غربيين. «حول التحويرات الأخيرة في مادة الفلسفة»، جريدة الصّباح، الأحد ١٩ أكتوبر ١٩٧٥، «وجهة نظر»، ص. ١٥.

* اهتم بفلسفتي كانط ونيتشه.

* أنجز دكتوراه الحلقة الثالثة في باريس سنة ١٩٧٠ حول الفلسفة الإسماعيلية.

٥٣- تحدّث أستاذ علم الاجتماع المنصف ونّاس، من وجهة نظر الأنتروبولوجيا الثقافية مقتديا بما نظّر له عالم النفس أبرام كردينار (Abram Kardiner ١٨٩١-١٩٨١)، عن الشخصية التونسية القاعدية أو الأساسية أي عن القاسم المشترك الجامع بين التونسيين، إذ تحيل الشخصية القاعدية، الاجتماعية والثقافية المشتركة بين التونسيين، إلى الرّباط الذي يشدّهم إلى أنظومة متجانسة، إلى حدّ مّا، من الميول والسلوكات، ومن القيم والمعايير. وممّا يميّز طابع الشخصية العامّة للتونسيين كونها مرنة وطيّعة ومتفاعلة ثقافيا وتأبى الانغلاق. ينظر: الشخصية التونسية. محاولة في فهم الشخصية العربية، تونس، الدار المتوسّطية للنشر، ٢٠١٤.

٥٤- من تعبيرات الوعي المدني المترسّخ لدى التونسيين عقب الأزمات التنظّم الحرّ لا اللّجوء إلى العنف والارتداد إلى العشيرة إذ أسّست المنظّمة الحقوقية التونسية أعني الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان يوم ٧ ماي ١٩٧٧، وبعد أشهر صدر العدد الأول من جريدة الرأي يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٧٧ التي كانت منبرا حرّا لمختلف التيارات الفكرية والسياسية، ثم أُسّس حزب حركة الديمقراطيين الاشتراكيين يوم ١٠ جوان ١٩٧٨. هكذا ترسّخت القناعة لدى التونسيين بأنّ الخلاف لا يسوّى إلاّ بالحوار العقلاني.

٥٥- ذهب أستاذ علم اجتماع الأدب والفن الطاهر لبيب في محاضرته الافتتاحية وعنوانها «ماهية تعريف الفلسفة وعلم الاجتماع: أهدافه وغايته ومشاكله» التي ألقاها في مؤتمر أميلكار المتعلّق بتعريب الفلسفة وعلم الاجتماع يوم ٢٥ ماي ١٩٧٦- وترأس الجلسة محجوب بن ميلاد- إلى تأكيد ضرورة أن تكون قضية التعريب، وهي شأن من الشؤون الحيوية والمصيرية، جماهيرية لا مجرّد «حديث بلاغي» بعيد عن حركية الواقع وهو ما يستدعي، في نظره، الانتباه إلى ضرورة استيعاب العربية للمفاهيم العلمية. قال في هذا السياق: « ليس هنا موضع الحديث عن مختلف العوامل التي أفضت باللغة العربية إلى وضعها الرّاهن، لكن تجدر الإشارة إلى أنّ من بين العوامل موقف «نادى بالتعريب دون أن تكون لمناداته وسائل عملية مفهوميّا ومنهجيا وهو ما أفضى به رغم صلابته ونزاهته إلى تمييع القضيّة في ضبابية مثالية، وبالتالي إلى تكريس الانفصام بين القول والعمل تكريسا أصبح معه التّعريب موضوعا معرفيّا أكثر منه موضوع عمل وممارسة وانفصل الجدل فيه عن الواقع. يبدو هذا الانفصام على الأقل من وجهين متكاملين: يبدو أوّلا في إهمال العلاقة بين الوضع اللغوي والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هناك عزل لقضية اللغة عن أرضيتها، وهو ما سهّل المونوبول الجدلي الذي جعل أو كاد يجعل من القضية قضية خاصة بالمثقفين في حين أنها قضية جماهيرية أساسا. يبدو الانفصام ثانيا في الاكتفاء بمفاهيم مشحونة ذهنيا وعاطفيا ولكن الواقع المتناقض أفرغها من مضمونها العملي، فأصبحت لا تدرك إلاّ حدسيّا وبقفزة خارج الواقع، ثمة مثلا خداع شبه الآلي

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

بين التعريب ومفهوم الذاتية، لكن الذاتية تقدّم على أنّها في الوقت نفسه بعد أساسي لوجودنا وشيء لا يعرف أو هو على كل حال غير ما نعيش في هذه الحالة يكون وقع من يتناول مشروع التعريب استعمالا لمفهوم كهذا ـ هام غامض ـ لكن يريد حل معادلة كل عناصرها مجهولة! ثم إن جملة المفاهيم التي تبلورت في ردود فعلنا ضد الاستعمار واستمرّت في حلّ مشاكل ورثناها عن الاستعمار وساهم مفكرو الاستعمار في استمراريتها إذا أصبحت حاليا مجرّد تحويل لوحي مثالي وبالتالي عامل فصل عن الواقع عوض التقريب منه فالاستغناء عنها في التحليل والتبرير أولى بل إنه إذا كانت بعض المجتمعات تسمح لنفسها بكثير من الأخطاء بدعوى البحث عن ذاتيتها فإنّ مجتمعات أخرى تقدّمت دون أن يكون لها « مفتّشون» عن الذاتية! الذاتية هي أولا ما نفعل فعلا وما يمكن ويجب موضوعيا أن نفعل». يراجع: جريدة الصّباح، ٢٦ ماي ١٩٧٦، ص. ١٢.

* ولد في مدينة منزل جميل يوم ٤ جويلية ١٩١٦ وتوفي يوم ١١ جويلية ٢٠٠٠. رائد مشروع «تحريك السواكن» و «فلسفة الدين» في تونس. يراجع: مؤلّف جماعي، محجوب بن ميلاد، رائد تحريك السواكن، إشراف وإعداد محمّد المي، تونس، المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنيّة، ٢٠٢٤.

٥٦- يراجع التقرير حول ندوة « التحرير والثقافة» الّتي نظّمتها الجامعة التونسية الحرّة يوم ١٧ أفريل ١٩٥٨ بمقرّ جمعية قدماء الصادقيّة ضمن جريدة الصّباح، الجمعة ١٨ أفريل ١٩٥٨، ص. ٥.

٥٧- يراجع: جريدة الصّباح، ٢٦ ماي ١٩٧٦، ص. ٤.

٥٨- حول التجربة المغربية في تعريب مادة الفلسفة التي انطلقت سنة ١٩٦٩ ينظر: محمّد عابد الجابري وأحمد السطاتي ومصطفى العمري، دروس الفلسفة لطلاّب البكالورية المغربيّة، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ١٩٧١.

٥٩- كان هناك تعاون بين تونس والمغرب والجزائر لإنجاز كتاب مشترك خاص بتلامذة الفلسفة في البكالوريا لكنّ التجربة لم تكتمل.

٦٠- محمّد عزيز الحبابي، المُعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية، الدّار البيضاء، دار الكتاب، ط١، ١٩٧٧، ص. ١٠.

٦١- نشرية المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية تونس، مارس ١٩٧٩، أعمال الملتقى الفلسفي «الموضوع الفلسفي: طرحه وتقييمه» نزل الماجستيك، تونس ١٢-١٣ جانفي ١٩٧٩. ومن الأساتذة الّذين ساهموا في هذه النشرية أبو يعرب المرزوقي (المعهد الثانوي ابن شرف)، وعنوان بحثه هو «فنّيات المقال الفلسفي» ص. ١-٥. وكان وزير التربية القومية محمّد مزالي قد افتتح هذا الملتقى وأكّد أنّه بذل جهدا لرسكلة نفسه في اللغة العربية في بدايات تدريسه للفلسفة الإسلامية في المدرسة الصادقية، وفي الخلدونية، وفي الجامعة الزيتونية. وممّا جاء في كلمته قوله:» «تعجّبت عندما لاحظت من بعض الأساتذة شيئا من التردّد بعد عشرين سنة مرّت منذ الاستقلال. أنتردّد أن نبدي بعض الخجل لتدريس الفلسفة بالعربية بينما السلط الاستعماريّة سنوات ١٩٥٠-١٩٥٥ تضطرّ الأساتذة العائدين من السوربون إلى تدريس الفلسفة بالعربية بينما مستواهم في اللغة العربية ضعيف جدّا (قدّم مثالا زوجته لما درّست الفلسفة لتلميذات ترشيح المعلّمات بتونس). هذه حقائق لا بدّ من ذكرها حتّى نضع الأمور في نصابها وحتّى لا ننظر إلى تدريس الفلسفة بالعربية نظرة مبدئية أو أيديولوجية أو ننظر إليه كأنّه أمر مستحيل تحقيقه بينما المسألة كما ترون أهون وأبسط[...]. إيّاكم ثمّ إيّاكم أن تنساقوا إلى بعض الدعايات أو بعض التخمينات التي تُوجد الالتباس وتذكّيه وتبعث إلى الغرور والقتامة في التفكير والتي غرضها أن تظهر إصلاحنا وأعمالنا في مظهر رجعي. لا بل نحن نريد أن نعيش في آفاق عام ٢٠٠٠، نحن من أنصار الثنائية والثلاثية اللغوية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

ولكننا نعتقد مع هذا أنّ من الضرورة ومن الشرعيّة بل من حقّنا أن نحبّ لغتنا وأن نعبّر بها وأن نجد أنفسنا فيها وأن نتلبّس بها تلبّسا حميا وأن نعبّر بها عمّا يختلج في أنفسنا من أحاسيس وعمّا يتراءى لنا من أفكار وعمّا نحلّله ونبلّغه غيرنا. على أنّه من الضّروري أن يحصل أبناؤنا على قدر من اللّغة الفرنسية ومن اللغة الإنجليزية بحيث يقرؤون المراجع المكتوبة بها بغير ما حاجة إلى ترجمة أو وسيلة». المرجع نفسه، ص. ٢.

٦٢- نشرية المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية تونس، ملتقى الحمامات، ١٨ و١٩ ماي ١٩٧٩، ص. ١.

٦٣- ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦ (ط.١، ٢٤٨ صفحة)، ١٩٨٠ (ط.٢، ٢٤٦ صفحة). جاء في الأسطر الأخيرة من المقدّمة:» عسى هذا العمل الأوّل يهدينا إلى العمل الجماعي الذي يفجّر اللغة العربية ويحلّ مركباتها ويخدمها أرضا خصبة ومستقرّا حيّا لتقبّل كلّ روافد الحضارة وينبوعا ثرّا يثريها»، ص. ٢٦. وكان يوسف الصديق، أستاذ مادة الفلسفة، من المعارضين للطريقة التي تقرّر بها التعريب.

٦٤- شارك في تأليفه الأساتذة عبد الستار جعبر والمولدي يونس ومحمّد حرز الله وهند شلبي، تونس، منشورات المركز القومي البيداغوجي، ١٩٧٧، ٢٤٠ صفحة. وممّا جاء في مقدّمة المعجم نقرأ:» إنّ مؤلّفي هذا المعجم يحبّون أن يعترفوا لمن سيستعمله أنّهم لا يدّعون العصمة ولا الكمال وأنّه يقدّمون باكورة عملهم ولا يزعمون الإلمام بالمصطلحات المستعملة في تدريس الفلسفة ويؤمنون أنّهم يعيشون في عصر الجماعات لا الأفراد. وأنّ كلّ عمل لا يساهم فيه المختصّون ناقص لا محالة. لذلك فهم يرحّبون بكلّ ما سيتوجّه به كل غيور على الفكر والفلسفة من نقد بنّاء، ويفتحون الباب على مصراعيه للنّقاش النّزيه، والحوار الصّريح حبّا منهم للصدق في القول والإخلاص في العمل. ويتقبّلون بشوق كلّ اقتراح يرمي إلى إضافة بعض المصطلحات إلى معجمهم، أو تغيير مصطلح بآخر يطابق الدلالة مطابقة أتم، أو تنقيح تعريف أحد المصطلحات. ويرجون أن يكون هذا المعجم نواة عمل مستمرّ، وأن تتظافر الجهود على إنمائه. ويتوجّهون إلى المسؤولين عن حظوظ الفكر والثقافة في بلادهم برغبتهم في بعث مؤسّسات فلسفية تشمل كلّ مهتمّ بالفلسفة والبحث فيها والترجمة لها، وكل غيور على العربية كأن تبعث جمعية للبحث والترجمة والتأليف في الميدان الفلسفي أو مجلّة فلسفية تسهر على قضايا الفكر في بلادنا وتربط الصلاة المتينة بكلّ المهتمّين بشؤون الفلسفة في بلاد العرب والغرب حتّى نواكب ما وصلت إليه الدراسات الفلسفيّة المعاصرة. ويرون أنّه لا بدّ من أن يكون التعليم العالي وثيق الصلة بالتعليم الثانوي فيساهم أساتذة التعليم الثانوي في البحث الفلسفي بكلية الآداب، حتى لا ينعزل أساتذة الجامعة في أبراج عاجية ويشعّ نور الفلسفة في كل ربوع العلم والثقافة. وليس للمؤلّفين من عذر يعلّلون به نقص عملهم غير العوائق الّتي صادفتهم من قلة المراجع التي كانت محدودة العدد ممّا لم يسمح لهم بزيادة النظر والمقارنة. وأنّ الزمن الّذي توفّر لهم أضيق من أن يسع مثل هذا العمل إذ كانوا إلى جانب التأليف يؤدّون واجبهم كمدرّسين، ممّا جعلهم يتسابقون مع الزّمن ويعملون أثناء العطل، لأنّ ظهور المعجم كان ضرورة ملحّة لا تقبل الانتظار الطويل والإرجاء»، ص. ٦.

٦٥- تونس، الدار الواسطة للنشر، سلسلة « المعارف الفلسفية»، ١٩٧٨، ١٢٧ صفحة.

٦٦- تونس، دار المعرفة للنشر، ١٩٧٩، ٢٢٨ صفحة.

٦٧- تونس، منشورات الجديد، ١٩٧٩، ٩٦ صفحة.

٦٨- تونس، دار المعرفة للنشر، ١٩٧٩، ٢٢٤ صفحة. جاء في تقديم الشارني قوله:» أمّا ترجمتي هذه فهي ككلّ الترجمات قابلة للنقاش ومن الممكن تحسينها. وقد كان رائدي الوحيد فيها الوضوح والسهولة. فهذا العمل بدوره لا يتوجّه إلى الرّاسخين في العلم بل أريد

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

أن يكـون كما أراده صاحبه الأصـلي أداة معرفة لمن افتقر إليها، وسـبيل تفكـير وعمل لمن اختلطت عليه السّـبل. تلك هـي غايتي وأتمنّى أن يكون دليلا بين يدي شـباب بـلادي الّذي سـمع كثيرا عن الفلسـفة ولم يعـرف منها سـوى اسـمها. فيلعلـم أنّها ليسـت حصرا عـلى فئة ولا ملكا للبعض، بل هـي تنتشر حيث يوجد الناس مرافقة لهـم في أعمالهـم وفي آلامهم، معبّرة عـن وضعهم منظّمة لفكرهـم، دالة عـلى حاضرهـم متطلّعة إلى مسـتقبلهم، وهي ثمرة الجهد كسـنابل الرّبيع، رمز لليقظة كأصوات المصانع، دليل الحركة كمنار السّفن..»، ص. ١٤.

٦٩- تونس، منشورات الجديد، ١٩٧٩، ١١٢ صفحة مذيّلة بقائمة في المصطلحات المستعملة.

٧٠- ما يلاحظ هو أنّ الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية حادت نوعا مّا عن هذا الهدف الأسـاسي إذ كان حضور الفلسـفة الغربيـة طاغيا وهو ما يعنـي أن مرحلة تعريب مـادّة الفلسـفة ظلّـت تلقـي بظلالهـا الأيديولوجيـة إلى اليوم.

* ولـد في مدينـة المكنين يوم ٢ جويليـة ١٩٢٥ وتوفي بها يوم ٢٤ ديسـمبر ٢٠١٧. للتوسّـع في سـيرة المرّاق ومسيرته ينظـر كتابنـا: عبـد الكريـم المـرّاق (١٩٢٥-٢٠١٧) وإسـهامه في تنشـيط الحياة الفلسـفية في تونـس، مرجع مذكور.

٧١- لذلـك قـدّر أسـتاذ الفلسـفة محمّد قشـيش أنّ مشـكلة التعريـب « مشـكلة مصطنعـة» لأنّ تونـس بـلاد عربية إسـلامية تاريخـا ودسـتورا وواقعـا ومـن غـير المعقول اسـتنزاف مواردنـا الرّوحية في جدال عقيـم حول مقوّم من مقوّمات شخصيتنا. يراجع: محمّد قشيش،» تعريب مادّة الفلسـفة»، جريـدة الصّباح، العدد ٨٥٢٩، السـنة ٢٥، الجمعـة ٢ ذو الحجة ١٣٩٥/ ٥ديسـمبر ١٩٧٥، ص. ١٦.

المصادر والمراجع

مؤلّفات

أ-بلسان عربي

- البحري، خالد وقلوز، محمّد البشـير (دراسة وإعـداد وتقديـم)، محمّد الكـرّاي: الماركسي الأخـير. سـيرة نضاليـة ومسـيرة فلسـفية، مـع دروس لـه غـير منشـورة Cours de Philosophie (١٩٦٤-١٩٦٥)، تونس، الشركة التونسـية للنشر وتنمية فنون الرسم، ٢٠٢١.
- البحري، خالد، عبد الكريم المرّاق (١٩٢٥-٢٠١٧) وإسـهامه في تنشـيط الحياة الفلسفية في تونـس، تصديـر توفيق الشريـف، تونس، الشركة التونسـية للنشر وتنمية فنون الرسم، ٢٠٢٢.
- ابـن شـعبان، عبـد الرّحمـان، الاتّحـاد العـام لطلبة تونس، النشـأة والتأسيس والعلاقات، تونس، منشورات نيرفانا، ٢٠١٩.
- ابن عيسـى، الحسـين، سـجالات التونسيين مـع الاسـتعمار ودعـاة التّغريـب (١٨٨١-١٩٨١)، تونـس، مجمـع الأطـرش للكتاب المختص، ٢٠١٨.
- بوقـرة، عبـد الجليـل، مـن التاريـخ السـرّي لليسـار التونـسي: حركة آفاق وفتـح الآفاق (١٩٦٣-١٩٧٤)، تونـس، دار آفـاق، ٢٠١٣.

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٩٣٤٠ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

- التميمي، عبد الجليل (إشراف وتقديم)، إتّحاد الشغل والمعارضات السياسية. من الخميس الأسود إلى الثورة، تونس، مؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ٢٠١٧.
- التيمومي، الهادي، تاريخ تونس الاجتماعي ١٨٨١-١٩٥٦، صفاقس-تونس، دار محمّد علي الحامي للنشر، ١٩٩٧.
- الثابتي، عادل، الإتحاد العام التونسي للطلبة، خلفيات التّأسيس ومآلات المسار (١٩٨٥-١٩٩١)، تقديم عدنان المنصر، تونس، مكتبة تونس، ٢٠١٧.
- الحبابي، محمّد عزيز، المُعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية، الدّار البيضاء، دار الكتاب، ط١، ١٩٧٧.
- الحدّاد، الطاهر، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تحقيق محمّد أنور بوسنينة، تقديم رجاء بن سلامة، تونس، منشورات دار الكتب الوطنية، ٢٠٢٠.
- الزواري، رضا، تسرّب الرأسمالية إلى تونس في عهد الاستعمار، تونس، التعاضدية العمّالية للنشر، ١٩٧٥.
- ـــ، الصّراع الطبقي في تونس (١٩٥٦-١٩٨٠)، تونس، صامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
- السلاّمي، محمّد الحبيب، أوراق زيتوني من شجرة الزيتونة، صفاقس-تونس، مكتبة علاء الدين، ٢٠١٨.
- الصدّيق، يوسف، المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦.
- الصيّاح، محمّد، الفاعل والشّاهد، حاوره المولدي الأحمر، تونس، سراس للنّشر، ٢٠١٢.
- صمّود، حمّادي، طريقي إلى الحريّة، صفاقس-تونس، دار محمّد علي الحامي، ٢٠١٧.
- الصيّادي، محمّد المنجي، التّعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة «أطروحات الدكتوراه/ ١»، ط.٥، ١٩٩٣.
- ضيف الله، محمّد، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيّين بين الخمسينات والسبعينات، تقديم حسين رؤوف حمزة، صفاقس-تونس، مكتبة علاء الدّين، ٢٠٠٣.
- ـــ، تراجم النّشطاء في الحركة الطلاّبية التونسيّة (١٩١٠-١٩٩١)، تونس، المنشورات الجامعية، ٢٠١٤.

ـــ، أزمة الحركة الطلاّبية التونسيّة من خلال الوثائق (١٩١٠-١٩٩١)، تونس، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، ٢٠٢٠.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn2224-0934
Info@baytalhikma.iq

- الطـرودي، الهاشـمي، أضـواء عـلى اليسـار التونـسي، حركـة آفـاق نموذجـا. شـهادات وتأمّـلات، صفاقس-تونـس، دار محمّد علي الحامي، ٢٠١٣.
- عثـماني، أحمـد مـع بسـيس، صـوفي، التحرّر مـن السّـجن. تجربـة عالميّـة في إصـلاح السّـجون، تقديـم روبـير بادينتـير، ديباجـة ماري روبينسـون، ترجمة عبـد العزيز نويضي وإيمان شمص، مراجعة عبد الفتاح فاكهاني، صفاقس-تونـس، دار محمّـد عـلي للنـشر، ٢٠١١.
- فليـس، محمّـد الصّالـح، سـجين في وطنـي، صور مـن يوميّـات معتقل سـياسي، تونس، دار نقوش عربية، ٢٠١٦.
- لبيـض، سـالم وضيـف الله، محمـد، الطلبـة العـرب التقدّميوّن الوحدويّون: نشـأة التيّار القومـي التقدّمـي ونضالاتـه التاريخيـة في تونـس. دراسـة وتحقيـق، وثائـق ونصوص تاريخية مع رسالة من عصمت سيف الدولة، تونس، سوتيميديا، ٢٠١٧.
- المـرّاق، عبـد الكريـم وجعـبر، عبـد السـتار ويونس، المولدي، وحرز الله، محمّد وشـلبي، هنـد، المعجم الفلسـفي، تونس، منشـورات المركز القومي البيداغوجي، ١٩٧٧.
- المـرّاق، عبـد الكريـم والشريـف، توفيـق وابن رجـب، رضا، تدريس الفلسـفة باللغة العربية في تونـس(١٩٤٨-١٩٨١)، تونس، منشـورات المعهـد القومـي لعلـوم التربيـة، سلسلة «الدراسات الفلسفية»، ١٩٨٢.
- مؤلّـف جماعـي، عبـد الوهـاب بوحديبـة ١٩٣٢-٢٠٢٠، تونس، منشورات المجمع، ٢٠٢١.
- —، محجـوب بـن ميـلاد، رائـد تحريـك السـواكن، إشراف وإعـداد محمّـد المـي، تونس، المؤسسـة الوطنيـة لتنمية المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنيّة، ٢٠٢٤.
- مناصرية، يوسـف، الحزب الحرّ الدسـتوري ١٩١٩-١٩٣٤، تونـس، دار الغـرب الإسلامي، ١٩٨٨.
- ونّاس، المنصف، الشخصية التونسية. محاولة في فهـم الشـخصية العربيـة، تونـس، الـدار المتوسّطية للنشر، ٢٠١٤.

ب-بلسان أعجمي

- Abbassi, Driss, Entre Bourguiba et Hannibal: identité tunisienne et histoire depuis l'indépendance, préface de Robert Ilbert, Tunis, Karthala, 2005.
- Abdelmoula, Mahmoud, L'Université zaytounienne et la société tunisienne, Tunis, CNRS, 1971.
- Ayachi, Mokhtar, Histoire d'une

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحكمة ـ بغداد
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق لسنة ١٩٩٩
ISSN ٢٢٢٤-٠٩٣٤ رقم الإيداع الدولي
info@bayalhikma.iq

Ecole de Cadres : L'Union Générale des Etudiants de Tunisie au cours des années 50/60, Tunis, Institut Supérieur de l'Histoire du Mouvement National, 2003.

- Guiga, Driss, Sur le chemin de Bourguiba 1934-1984, Tunis, Cérès Editions, 2024.
- Mzali, Mohamed, Un premier ministre de Bourguiba témoigne, Paris, Jean Picollec, 2004.

دوريّيّات ونشريات

أ-بلسان عربي

- جريدة الصّباح (تونس)، الجمعة ١٨ أفريل ١٩٥٨.
- —، الأحد ١٩ أكتوبر ١٩٧٥.
- —، الجمعة ٣١ أكتوبر ١٩٧٥.
- —، الجمعة ٥ ديسمبر ١٩٧٥.
- —، الاثنان ٢٦ ماي ١٩٧٦.
- جريدة القنال (بنزرت-تونس)، العدد٥١، سلسلة جديدة، السنة التاسعة، ١ ماي ١٩٧٥.
- المجلة التونسيّة للدراسات الفلسفية، «الفلسفة وتعليمها» السّنة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، عدد٣٢/ ٣٣، ٢٠٠٣.
- المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، السنة ٣٧-٣٨، العدد ٦٢-٦٣، ٢٠١٩-٢٠٢٠.
- مجلة الحياة الثقافية (تونس)، السنة الثانية، رمضان/ شوال ١٣٩٦، سبتمبر/ أكتوبر ١٩٧٦.
- مجلة رحاب المعرفة (تونس)، السنة ٦، العدد ٣٢، مارس-أفريل ٢٠٠٣.
- المجلّة الصّادقيّة (تونس)، عدد ٣٣، جانفي ٢٠٠٤.
- مجلّة العلم والتّعليم (تونس)، العدد ٣٥، السنة الخامسة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- نشرية المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية تونس، مارس ١٩٧٩.
- نشرية المركز الجهوي للتوثيق التربوي بمندوبية تونس، ملتقى الحمامات، ١٨ و١٩ ماي ١٩٧٩.

ب-بلسان أعجمي

- Revue Rue Descartes, n° 61, 2008/3.
- Revue Tunisienne de Sciences Sociales, 27ème année, n° 100,1990.

Semi-annual Quarterly journal issued by Department of Philosophical Studies In Bayt Al-Hikma
No.of deposit at Library and Archives(682)1999
Issn 2224-0934
Info@baytalhikma.iq

The Role of the Philosophical Movement in Healing Societal Fractures in the Second Half of the 1970s in Tunisia

Khaled Bahri

Abstract

During the second half of the 197

complex political, social, and educational crises. Nonetheless, the Tunisian society at that period was unified thanks to the cohesion of its social fabric, the vitality of its cultural life, the solidity of its civic education, its deeply entrenched nationalsense of identity, and its elites' commitment to the demands of democracy and citizenship. Tunisia's civil organizations, especially the Tunisian General Labor Union,contributed to overcoming these crises which oftentimes threatened to unsettle national cohesion and disturb social peace. By assuming the role of active mediators between the government and the citizens, the different bodies that constituted the civil society in Tunisia helped prevent social violence and chaos. This article aims then to show how the philosophical movement, active in Tunisia at that time, had a significant impact in healing societal fractures, strengthening citizens' confidence, preserving cohesion among Tunisians, defending the idea of the rule of law and institutions, and the inevitability of social dialogue to preserve the national interests.

Keywords: crises, identity, social Ladder, arabization, philosophical movement, social and civic dialogues.